بكر أبو بكر

مناضلون عِشتُ بهم!

دروس ومواقف وشهادات

دار البيرق العربي للنشر والتوزيع

مناضلون عِشتُ بهم !

مناضلون عشت بهم!

دروس ومواقف وشهادات

بكر أبو بكر

فلسطين-الطبعة الاولى 2026م

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية الفلسطينية (539- 2025-PS)

الواصفات:/تنمية بشرية/

• يتحمل المؤلف/الناشر كامل المسؤولية القانونية عن مُنتجه

دار البيرق العربي للنشر والتوزيع

فلسطين – رام الله – دوار التشريعي
تليفاكس: 009722-2986309
جوال: 009722 599-486790
بريد إلكتروني: daralbairaq@gmail. com
تصميم الغلاف والمونتاج الفني: دار البيرق العربي

مناضلون عشت بهم!

بكر أبو بكر

مقدمة

ما حفزني على إعداد ثم طباعة هذا الكتاب هو أحد الأخوة الكرام الذي قرأ أكثر من مقال لي اعتبره مؤثرًا عن القادة الفلسطينيين المناضلين، وأشار لضرورة أن يتم تعميم ذلك عبر كتاب، في زمن عزّ فيه الكتاب لا سيما في ظل طغيان وسائط التواصل الاجتماعي والذكاء الاصطناعي. وما كنت بصدد ذلك لولا إلحاحه الذي جعلني أفكر إلى أن قررت أن أجمع مادتي وأقرن الراحلين بالأحياء ممن كتبت عنهم في فترات مختلفة لعلني بذلك أكون قد أسهمت بشيء من التكريم أو الاعتزاز بمن قضوا، ومن هم على الدرب سائرون.

الشخصيات المذكورة منها مَن صاحبته كصديق، ومنها القائد الذي تعلمت منه، ومنها التي ربطتني بها مشاهد محددة أو مواقف قليلة لربما أشرت لها، ومنها ما قد يمثل شهادة بحق لمن يستحقها. ولكثير منهم عندنا تقصير كبير. وعليه لربما بهذا العمل نكون قد انجزنا القليل بحقهم.

أشكر الأخوة الذين اطلعوا على المسودة وأخص بالذكر الاخ الصديق المثابر والمناضل النشِط ماهر عطية الذي لم يملّ الحوار معي، وأرهقته كثيرًا بالاطلاع وإبداء الرأي، والتدقيق

والتصليح الطباعي ما استقبله بصدر رحب وبوقت ثمين خصصه وإن كان طويلًا لذلك.

بكر أبوبكر–2026م

الفصل الأول

قضوا على الدرب

صلاح خلف (أبو إياد) والاختلاف، والرِعاع[1]

في الردّ على عددٍ من الأخوات والأخوة الكرام الذين تواصلوا معي، واشتكوا بمرارة من الحملات المسعورة اليوم التي يتم شنّها على الثورة والمقاومة والنضال الفلسطيني قديمًا وحديثًا، وبتعجب منهم أن تطال قائد أو أكثر من شهدائنا الكبار والرموز العريقة، آثرت البدء بالترحم على كافة الشهداء، كافة شهداء فلسطين بالطبع وشهداء الأمة في سبيل فلسطين وفي سبيل الحرية وضد الظلم والاستخراب (الاستعمار) والاحتلال والاستبداد.

واخترت أن أخاطب الكل عبر الواحد من خلال أحد كبار القادة الشهداء وهو الأخ صلاح خلف (أبو إياد) الرجل الثاني في حركة التحرير الوطني الفلسطيني-فتح وعقلها السياسي والأمني والاستراتيجي الفذّ بإطار ردي كالتالي:

رحم الله معلمي وأستاذي وقائدي، قائدنا جميعًا، الأخ أبو إياد الذي لم نملّ يومًا بالكتابة عن مآثره الكثيرة ولن نمل. لن نملّ ولن نتوانى عن ذكرِهِ الطيب، وعن ذكر القادة الكبار أجمعين.

1- عن الاخ صلاح خلف أبو إياد كتبنا الكثير وعن رفاقه الكبار أمثال أبو جهاد وأبو السعيد والأفذاذ وهذا مقال متأخر(عام 2024م) لسبب ما يرد بالمقدمة.

إن القائد الفذ صلاح خلف أبو إياد وكلّ الجيل المؤسس هم الذين على أيديهم تربّينا على حُب فلسطين أولًا، فهي البوصلة فقط، لا شرقية ولا غربية. وهي المقياس وهي المحور ومن يلتف حولها فأهلا به وسهلاً، وإلا فلا.

مدارس رحابة ومحبة ونقد

وتربينا منهم على حُب أهلنا وناسنا، شعب فلسطين، وضرورة تضحيتنا بأنفسنا نحن كمناضلين ومقاومين وثوار من أجلهم، من أجل هذا الشعب الذي رَفَعَنا، ورفع القيادة الثورية على أكف المحبة والوفاء والولاء، وما خذلوا شعبهم أبدًا فاستشهدوا ليحيا الشعب الفلسطيني بكل كرامة، وعلى درب تحرير الأرض، جيلٌ يسلم جيل حتى النصر.

على أيدي الرواد الأوائل للمقاومة الفلسطينية منذ الانطلاقة عام 1965 بل وما قبلها من مقاومة وثورات وجهاد وكفاح، على أيدي القادة المؤسسين، وفي ظل القيادة التي حققت المستحيل بالاعتراف العالمي بفلسطين والوطنية والكيانية والهوية المنتزعة من فم الذئاب، تعلمنا الدرس الأول في القضية.

وفي مجالسهم وندواتهم ولقاءاتهم المرحابة المحبّبة فهِمنا وعَقِلنا فكرة الثورة والمقاومة والنضالية والديمومة بكافة الأشكال وعبر تعدّد السُبُل لهذا الشعب البطل.

(السير بخط متعرج كما الحال حين السير بحقل الألغام كما كان يردد الخالد ياسر عرفات).

وفي إطار رحابة عقولهم المنفتحة وتسامح فضاء تفكيرهم الواسع

واحتضانهم

تحاورنا

واختلفنا

وصرخنا

وصمتنا

وتناقشنا

وتجادلنا

بمحبةٍ غامرة

وبأدب الحوار والنقاش

والنقد

وضمن أسس الديمقراطية التي توازن بين القول والفعل، وبين المقبول والمرفوض، وأيضًا آخذين بالاعتبار مكان ومضمون وجوّ الحوار، وما يقال ومالايقال ولكل مقام مقال وليس كل ما يُعرف يُقال.

على أيديهم تعلّمنا أسسَ الحوار ومقابِلَه الالتزام.

وتعلمنا أن نفهم ما نقوله، وكيف ومتى وأين وأمام مَن؟ من ضروب فن الاتصالات والخطاب والحديث والكلمة المحترمة، والتعامل مع الجماهير، وفنون الاستماع والانصات والرد والتي كان الفذ صلاح خلف أحد مروّضي الكلمة الكبار.

كما تعلمنا أسُس النقد والنقد الذاتي، ما لم نستطع معه اليوم أن نتخلى عنه، في خضم العدوان الفاشي (الصهيو-أمريكي) على أهلنا الأبطال في غزة العظيمة، وغرق القطاع في وحل الإبادة الجماعية والتهجير و(مجزرة صبرا وشاتيلا) اليومية لهذا الصهيوني المتوحش، وتدمير غزة الممنهج -وبالضفة-فلا أرض ولا سماء ولا أرواح بقيت سليمة مقابل الوهن العربي، والعمى لدى بعض الأطراف الفلسطينية عن حقيقة المتغيرات وضرورة مراجعة الذات والتوقف عند الحقائق قبل فوات الأوان بمد اليد من الأخ إلى الأخ.

عين الرضا وعين السخط

تعلمنا أن الحق أولى وتعلمنا قول كلمة الحق التي عدّها النبي عليه الصلاة والسلام من أعظم الجهاد، وفي تعلمنا للنقد كان الأدب الجمّ فلا شتم ولا تشتيم ولا إيذاء ولا تحقير مطلقًا، بل الأساس المُقاس عليه هو التعرض أو نقد الفكرة أو الرأي أو الموقف الذي بطبيعته متغير.

وما كان يومًا للاختلاف ما بين القادة الكبار -كما شهدنا- أن أدى

لا لتخوين

ولا لتكفير

ولا لتشهير صارخ

كما يحصل اليوم بلا خجل وعلى رؤوس الأشهاد.

شهدنا خلافات كثيرة بالرأي والمواقف بين الأخوة -سياسية وتنظيمية وفكرية...- ومنها ما كان بين أبو عمار وأبو إياد كمثال والتي سرعان ما يتدخل فيها بينهم كافة الأخوة من كافة ألوان الطيف السياسي يمينًا ويسارًا بل وأخوة عرب كرام أحيانًا فيحلوها، ليمتلئ وجه كل من الرجلين الكبيرين حبورًا وابتسامًا، وهما يردّدان-وكأن شيئًا لم يكن- قول الإمام الشافعي:

وَعَينُ الرِضا عَن كُلِّ عَيبٍ كَليلَةٌ

وَلَكِنَّ عَينَ السُخطِ تُبدي المَساوِيا

مَن فاتَهُ قطار التعليم المباشر وجها لوجه (الوجاهي) من مجالس هؤلاء الكبار فعليه أن يقرأ ويسأل ويستمع بتفكّر، ويتعلم منهم المبادئ والقيم والاخلاق أولًا، بعد فهم معنى أن فلسطين هي البوصلة.

وله أن ينتقد ولكن ضمن منظومة القيم العظيمة التي

تجعل من الحب والوفاء والاحترام والأدب العنصر الرئيس في القول وبالرد.

ومن امتنع عن التعلّم من كتاب رب العالمين، ومن المعلمين الكبار، وارتبط بمسارات الطعن والسخرية والاستهزاء أو العبث أو الكذب والادعاء وإحداث الفتنة -وما أكثرهم على الشابكة ووسائل التواصل الاجتماعي اليوم، خاصة المرئية منها- فإما جاهل استمرأ جهله، أو منخرط ضمن لعبة أكبر منه أو حاقد، أو منحطّ الاخلاق أو عابث لا يرجى شفاؤه.

قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: «النَّاسُ ثَلَاثَةٌ: عَالِمٌ رَبَّانِيٌّ، وَمُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ، وَهَمَجٌ رَعَاعٌ (أي حمقى عابثين) أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ وَلَمْ يَلْجَئُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ». ومن هؤلاء الرعاع على الشابكة (Internet) الكثير ممن يتصدرون الرائج trend!

إن من يعمى عن ذكر ربه سبحانه وتعالى، وعن القيم خاسر، ومن يعميه الحقد والغضب والشهوة والإفساد خاسر ومضلّل، ومن يعميه المُلك والسلطة والحُكم والتحزّب والطاعة العمياء فاسد.

المطاعن لا تبرر التقديس، لكنها تؤصل للوفاء

أما بالنسبة للحملة الإعلامية والمطاعن ضد حركة التحرير الوطني الفلسطيني-فتح اليوم عامة، وربما ضد بعض قادتها المؤسسين، وضد الحركة الوطنية عامة فتجدون الكثيرين ممن

ساروا ضمن هذا النهج الانتقامي والشخصاني الحاقد من جهة، أو غير السوي من جهة أخرى. وهو ليس بجديد إذ تمت كتابة عدة كتب بل وأجريت مقابلات مرئية وإذاعية لمن له صِلة ومن ليس له صِلة بالمقاومة الفلسطينية، وأحياناً لمن هبّ ودبّ ضد الخالد ياسر عرفات وضد أبو السعيد خالد الحسن، وضد جورج حبش وضد غيرهم الكثير. وردّ الكثير من المنصفين من الكتاب العرب والاجانب والفلسطينيين على كثير منهم سواء بالكلمة الملتزمة والأدب أو بشدة المناضلين والحجّة بالحجة، وبما هو ﴿بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ سورة النحل الآية: 125.

نعم، هم ليسوا قديسين وليسوا منزّهين. ومن المهم نقد المواقف والسياسات والأفكار بالدليل والحجة والمنطق، لكن دون مسّ ذات الشخوص وعوائلهم ...إلخ. ومن هنا نرفض تقديس الأشخاص لكن الاحترام والمحبة والوفاء والقيم هي الجدار المانع للتشويه والكذب والاتهام وصبّ نار الحقد من أفواه الموتورين والحاقدين والعميان.

وردًا على أحد الأخوة عن دوري الشخصي -وحقه أن يسألني فقلت- أما بالإعلام كإعلام في حركة التحرير الوطني الفلسطيني- فتح فأنا كشخص مهمتي بالحركة وزملائي هي الدورات السياسية والتنظيمية والدراسات والقضايا الفكرية والتثقيفية، ولي بالشأن كتبٌ كثيرة. وهي بكثير منها تستلهم

سيرة الخالدين من شهدائنا الذين ضحّوا بأنفسهم لأجل فلسطين ولأجل شعبنا الفلسطيني البطل. وبالطبع على رأسهم أبطال فلسطين والأمة العربية أمثال الأخوة أبو عمار وأبو اياد وأبو جهاد وأبو اللطف وكمال عدوان وأبو علي مصطفى، وعبد الوهاب الكيالي، وإسماعيل أبو شنب، وإلى جانب الساسة عديد المثقفين والمفكرين الكبار بالأمة ...إلخ.

ولا أجد أنا شخصيًا في الدورات أو الندوات أو الورشات والندوات أو في كتبي أو مقالاتي إلا الإشارة الدائمة لهم في مئات المواقف والمشاهد والأحاديث المأثورة عنهم، لما في ذلك من نموذج وقدوة وقيم ومبادئ تحلوا بها -ونفتقدها بعدد من القادة اليوم- وتعلمناها وفيها تحفيز عظيم للجيل القادم.

رحم الله كافة الشهداء، ورحم الله القائد صلاح خلف الذي كان يردّد دوما القول المنسوب لـ«فولتير»: «قد أختلف معك في الرأي ولكني مستعد أن أدفع حياتي ثمنًا لحقك في التعبير عن رأيك».

«نتنياهو» والترويض الثقافي

وعن الحملة الموتورة القائمة اليوم ضد فلسطين، وضد الفكرة الوطنية وضد قادتها بضرب كل من حركة فتح والشعبية وحماس والجهاد ببعضها وبأساليب رذيلة -وليس بالنقد اللازم والمطلوب دومًا- فإن المَصاب جللٌ ولم يحدث

منذ العام 1948 فيما يحصل في قطاع غزة، ما جعل كل من يمتلك حسًا ثوريًا أو مقاومًا أو كفاحيًا يراجع أفكاره عبر المسيرة، فيتوه أحيانًا ويحتار، ويحاول تلمّس المخرج فإما يتراجع وإما يتقدم، ويراجع ويخاصم ويعترض وهذا حقه، لكن مقابله بدأت قوى الظلام أو ما أسمتهم حركة التحرير الوطني الفلسطيني- فتح بأدبياتها (النباتات المتسلقة) تعبث فقط لإحداث الفتنة وضرب النسيج الداخلي سواء الفصائلي أو الإسلامي-المسيحي العظيم، وتدمير الثقافة الوطنية النضالية كما تدمير الثقافة التشاركية الديمقراطية السلمية التداول أيضًا، عوضًا عن ضرب الرابط الحضاري الأصيل بالأمة العربية التي ما نحن إلا قاطرة في قطارها كما كان يردد المفكر الكبير خالد الحسن.

قال «نتنياهو» بلاءاته الكثيرة بوضوح «لا حماسستان ولا فتحستان»، ولا دولة فلسطينية، والأولَى قطع دابر مقدمة الدولة أي لا سلطة وطنية فلسطينية على قاعدة أنّ الكل يعمل في الإرهاب!؟

فإن كان حُب فلسطين أو النضال بأشكاله المختلفة هو الإرهاب فهذه بدعة جديدة لتصنيف الحب!

وإن كان القصد هو تدمير أو ترويض الثقافة الوطنية الكفاحية وتدجينها لتقبل بالمحتل سيّدًا أبديًا، فهذا ما يسعى له اليمين الإسرائيلي الفاشي ولن يقبله أحفاد صلاح خلف

وأبو عمار وأحمد ياسين والشقاقي وجورج حبش وأبو علي مصطفى، وعبد الرحيم أحمد وأبو العباس. وحتى مَن تاهوا عن الطريق قليلًا سرعان ما سيعودون لحضن الوطنية الجامع أو نأمل ذلك.

أبو إياد وأبو الهول وقصة ذات دلالة

حدثني الأخ سامح عبد المجيد أحد مساعدي الراحل صلاح خلف أبو إياد في قصة ذات دلالة، ويشهد عليها الأخ مروان عبد الحميد الأمين العام لاتحاد المهندسين: «إذ اختلف كل من الأخوين هايل عبدالحميد (أبو الهول) وصلاح خلف (أبو إياد) يومًا (وهما عضوا اللجنة المركزية للحركة ومسؤولان عن الأمن آنذاك) وعلا صوتيهما. ثم خرج كل منهما من الاجتماع غاضبًا، فتوترت الأجواء حولهما وانتشر الخبر. وكنتُ بذات الفترة مع أخوة آخرين في مكتب الأخ عبد الله الافرنجي (لاحقًا أصبح عضو مركزية) وإذ به يتلقى اتصالًا ولحقه اتصال ثاني بعد 10 دقائق. كان الاتصال الأول من الأخ أبو إياد وكان الاتصال الثاني من الأخ أبو الهول. حيث طلب أبو إياد عبر الهاتف من عبد الله ترتيب عشاء اليوم (أي ذات يوم المشكلة) أو على الغداء غدًا يدعو فيه أبو الهول دون أن يذكر لأبي الهول أن أبو إياد سيحضر الغداء! وكان الاتصال الثاني بنفس المضمون من الطرف الآخر للمشكلة أي أبو الهول طالبا الدعوة للغداء دون إعلام أبو إياد بحضوره!؟

فتعجّب كل من في المجلس، الذين وصلهم خبر الاختلاف وشهدوا المكالمتين، ومنهم من فاضت عينيه بالدمع. تطوع الأخ امين الهندي (أحد مساعدي أبو إياد آنذاك) الموجود بالجلسة للقاء الأخوين علّهُ يعرف المشكلة، فزار كل من القائدين في مكتبيهما تباعًا ولم يستطع أن يسمع من أي منهما كلمة ضد الآخر، فعاد بلا نتيجة.

في اليوم التالي وعلى الغداء -حيث حضر الجميع- كان الأخوين أبو إياد وأبو الهول يتلاطفان وكأن ما حدث بالأمس من اختلاف وغضب وصراخ لم يكن -وكل منهما يظن أنه صاحب الدعوة- فما كان بعد الغداء إلا أن وقف الأخ عبد الله الافرنجي ليحدثهما والجميع عن حقيقة عزومة (وليمة) الغداء والاتصالين بالأمس وأن كل من القائدين بادر بحقيقة الأمر للمصالحة عبر العزومة.

هكذا كانت العلاقات الأخوية والمحبة أقوى وأكبر من كل الخلافات وحالات الغضب، وما هذا المثال إلا نموذج تكرّر مثله العشرات أو المئات في تاريخ المقاومة الفلسطينية الطويل من أولئك المدارس التي تعلمنا منها.

«الهمج الرعاع» والاجتزاء والافتراء والسخرية والتضليل

إن الحملة الشعواء الجديدة تكاثرت لأن هناك (الهمج الرعاع) كما أسماهم علي بن أبي طالب أو (الإمعات جمع إمعة) كما أسماهم الرسول ﷺ. أو من أسموا (الغوغاء)

بالتاريخ الحضاري العربي الإسلامي حيث يتجمد العقل وتثور الانفعالات، ونجد المؤدلجين الذين لا يرون إلا أنفسهم في بوتقة حزبهم، والباقي لا شيء، كما نجد أصحاب الأجندات الخارجية ...إلخ فما بالكم والفضاء الالكتروني انكشف للجميع!

والى ذلك أو وراء العديد من الجهّال والحاقدين والعابثين جهات منظّمة ومؤسسات-سواء علموا وانخرطوا معها وأهدافها بقصد، أم لم يعلموا- تخصّصت بنشر الأكاذيب والإشاعات، وتعمّد التشوية المطلق أو الاجتزاء والبتر المهدّف للأفكار والمواقف، أو إحداث الخلط والبلبلة والفتنة وترسيخ الشِقاق وحالة التشاتم مثل المؤسسة الإسرائيلية الالكترونية المعروفة ببث الإشاعات ضد هذا والآخر، وهي نشِطة بدرجة لا تخطئها أي عين حين ندقق بالمكتوب.

وتجدون آلاف الصفحات على فيسبوك وغيره تطعن في حركة التحرير الوطني الفلسطيني-فتح كما تطعن بالفصائل الأخرى مثل «الجهاد» و«حماس» وتطعن بالقائد س من «فتح» والقائد ص من «الشعبية» وبشكل مرذول لتخلق شرخًا أبديًا ضمن سياسة تعميق التحزب والإقصاء والكراهية.

قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ سورة الروم الآية: 8، فما لنا ألا نتفكر!؟

عودة على بدء إن من أسهل الأمور اليوم هو الاجتزاء أو الافتراء أو السخرية أو التضليل أو التشويه ثم الاتهام وهي مهمة الفاشلين أو العميان أو الحاقدين أو الفاسدين، ومن ورائهم المؤسسات المنظمة خاصة التابعة لحرب الإشاعات والتضليل الصهيوني ومن يسير على دربهم من فضائيات ومواقع وأشخاص.

ولن ننجح بالتخلص من أفكار هؤلاء وعبثهم أو حقدهم إلا بالتوحّد نحو فلسطين، وبنور العقل والتفكّر الذي حضّنا عليه المولى عز وجلّ، والتعلم من النماذج القيادية الكبار، وبالوعي وتثقيف الذات وهو ما يجب ألا نتخلى عنه فالانفعالات والعواطف المهيّجة أو المشحونة سرعان ما تتغير، ويبقى العقل والقيم حصن المناضل والمقاوم والمؤمن.

مع صلاح خلف طرتُ فرحًا.[2]

احتفظنا بذكريات جميلة نابضة، وسنوات أثيرة وقريبة على النفس من العلاقات الجميلة التي ربطتنا بالقيادات الفلسطينية الفتحوية، وغيرها في إطار الثورة الفلسطينية، ومنها لأصدقاء في الجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية والفلسطينية والعربية، ورغم الصراع ما كان لهذه العلاقات أن تكون كذلك جميلة ونابضة لولا توفر عديد الصفات الجاذبة في شخوص هؤلاء من جهة، وفي حرارة اعتناقهم للفكرة الصلبة، وحرية انطلاقهم نحو المستقبل، وحيوية حركتهم النابضة بالحياة وقدراتهم الذاتية حيث تمازجت الفكرة العظيمة مع أجساد ليوث لا تهدأ ولا تنام، وعقول لطالما ضجّت بالأفكار الخلّاقة، ومع نفوس مطمئنة آثرت الإقدام على السلامة الشخصية وآثرت حمل الأعباء على الاسترخاء بين أحضان الطبيعة أو الحبيب أو المنزل الوثير أو الأحلام...، فطلقوا الدّعة والرخاء والثراء منطلقين نحو الخشونة والرسالية والسمو.

كيف لمهندس يعمل في شركة نفط يترك عمله المريح في بدايات التشكل لدول الخليج وخروجها من براثن الاستعمار البريطاني وينطلق نحو المجهول، وكيف لمهندس آخر يمتلك

2- وهذا مقال آخر عن أبو إياد آثرت أن أضيفه أيضًا، وقد كنت قد أشرت للأخ أبو إياد في معرض الكلام عن نماذج الخطباء بكتابي «فن الحديث: في الخطاب المؤثر والأسلوب الجذاب.»

شركة رابحة أن يجعل من أمواله في خدمة مالم يُلمس، أي لخدمة حلم أو أمل أو هدف تحققه مازال غير واضح الملامح، بل وربما يكون مستحيلًا؟

وكيف لمدرس وكيف لموظف سامٍ، وكيف لكاتب معروف وكيف لشاعر؟ وكلهم من قيادات المقاومة الفلسطينية التي لم تقتنع بحالة التشرد والخذلان وحالة النكوص والأرق وحالة الرضوخ للاستعمار الأشد وطأة في التاريخ الاستعماري الغربي كيف لهم أن يتصدّوا بلا أي دعم مبشّر من دول عربية تحبو نحو الاستقلال!

الأرواح التعبة الباهتة الخَرِبة لا تستطيع أن تشهد ضوء الشمس إلا في وقته، وقد لا تراه. بينما الارواح الثائرة النابضة تصنع شمسها وتجعلها تشرق في الوقت الذي تحتاجها فيه.

وهكذا كانت الطاقات الجبارة التي لازمت المؤسسين الأفذاذ من قادة حركة فتح، ومن ساروا على دربهم، فهم لم يكونوا بشخوصهم وإيمانهم الواسع، وأفكارهم وقيمهم وعلاقاتهم وظروف تكونهم إلا مجموعة سامية النفس والأهداف.

قد نكون نحن في تلك الأيام نراهم بمستويات عالية، كملائكة تسير على الأرض، متغاضين عن كل سيئاتهم-حين التفكير المنطقي- وناظرين في أعينهم لنرى ما نريده نحن وليس بالضرورة ما هو كامن.

ننظر في أعينهم في تلك المرحلة نترقب أن تنطلق شرارة من

هنا أو شرارة من هناك لتبشرنا بقطع من الليل انزاحت عن صدورنا، ما يقربنا كثيرًا من يوم التحرير حيث يفرح المؤمنون بنصرهم.

نتلمّس خُطاهم فتحملنا عيونُهم المبشرة نحو يوم العودة الأثير حين تكون جموع الثوار وأبطال المقاومة يحتضنون وطنهم فلسطين العربية، الذي اقتلعتهم منه الاستخرابية (الاستعمارية) العالمية والصهيونية الأوربية كمنتسبيها الاستعماريين.

كيف لك أن تعيد تركيب الصورة المتكاملة بعد أن بعثرت الأيام قطعها بين الأحداث والأجداث ومسافات الطريق؟

وكيف لك أن تستعيد البريق والجميل واللطيف من مساحات حلم سرت وراءه طويلًا كهدف مع أشخاص ذابوا في قضيتهم وشربوا من كأس فلسطين حتى الثمالة؟

اليوم بكينا وتشوقنا واسترجعنا من المخزون أحلاه رغم مرارة السنين، وذلك إثر خبر وفاة الأخت أم إياد رحمها الله، زوجه القائد الفذ والصوت الحر والروح الوثابة والشخصية الصلبة والمتواضعة بنفس الوقت صلاح خلف أبو إياد.

أم إياد هي المرأة التي لم نعرفها أو نراها -ونحن طلاب- إلا للحيظات في تاريخ الرجل، والتي بلا شك كان لها من الدور العظيم في الحثّ والدعم والتحفيز والرعاية الكثير فهذا من ذاك، فالبيئة الحافزة في البيت والعائلة جزء لا يتجزأ من شخصية

القائد (رجلًا كان أم امرأة بالطبع)، وهكذا نظن كانت أختنا أم إياد رحمها الله، ورحم الرجل الكبير الذي قفز سريعًا إلى ذاكرتنا حين قرأنا خبر رحيلها، مرتديًا ثوب الحرير.

أهاجت الذكرى ما في قلوبنا مما اختزناه من لوعة الفقد لهم أجمعين، ولصلاح خلف «أبو إياد»، في زمن عربي كئيب ومتخاذل، وفي لحظة عسيرة ارتبطت بالقفز الأمريكي بالمظلة إلى حضن الأمة العربية حتى ركبتها حتى اليوم.

كان اللقاء الأول لي مع الأخ صلاح خلف «أبو إياد» في ندوة نظمها الاتحاد العام لطلبة فلسطين في جامعة الكويت، التي كانت تعجّ بالحراكات الطلابية الفلسطينية والكويتية والعربية يمينًا ويسارًا، وكان المطلوب مني أن أقدم الأخ الكبير بصفتي مسؤول اللجنة الثقافية بالاتحاد، ولما كنت خجولًا وخائفا ومتوترًا –دعني أقول مرعوبًا– ما هي طبيعتي السابقة بمواجهة الجمهور، لذا فإن تقديم قيادي من الطراز الأول من شاب يدخل العشرين من عمره كانت تعتبر بالنسبة لي مجازفة وعبء نفسي عظيم! لم استطع أن ابتلعه ولم استطع أن أنام ليلتي تلك وأنا أفكر كيف سأقدمه! ولم يكن المطلوب مني إلا بضعة كلمات، ولكنه أبو إياد!

قمت مع أخي وصديقي حتى اليوم رئيس الاتحاد حينها بالذهاب إلى مدرج الجامعة وتدربت معه على التقديم أمام المدرج الجامعي الفارغ، ما فهمته لاحقًا تقنية صحيحة

للقضاء على رهبة الموضوع والشخوص والمكان، وكلها مما لا يميّزه المتحدث أو الخطيب إلا بكثير من القراءة والدورات. المهم أن القلق والتوتر السابق كان مفيدًا جدًا لي لتحسين العرض والتقديم للرجل العظيم ببضعة دقائق كانت بالنسبة لي كأنها ساعة! وما ان انتهت حتى كان الجبل قد زال عن صدري من جهة.

مَن بالله عليكم سيولي اهتمامًا لطالب يدخل العشرين من عمره أمام قامة مثل قامة صلاح خلف؟ فالعيون بالحقيقة مركّزة على شخص ومخارج الحروف التي سيقولها أبو إياد وليس بكر أبو بكر، ومن هو هذا الثاني الجالس بأدب وخجل وانكماش مخفيًا توتره قرب الأول أصلًا، ولكن النفس المتوترة تفترض أن العيون ستبتلعها إن لم تتقن المطلوب منها مهما كان صغيرًا، والصغير يكبُر.

أن يزول الجبل عن صدرك المتوتر ثم تأتيك الهدية فهذا شيء كثير!

وهو ما حصل، فطرتُ فرحًا، وترنمت باللحن طربًا في نفسي وأنا جالس بقربه، وما كان هذا الطرب وهذه الهدية إلا من صاحب اليد العطوفة والابوة الحانية من صلاح خلف الذي جاورته على المنصة إذ بمجرد ان انتهيت من كلمتي التقديمية له حتى رَبَت على كتفي وابتسم، وقال لي ما شدّ أزري ورفعني عاليًا، لقد صنع لي جناحين. وفي ظني اليوم أنه أحس وأدرك

حجم توتري فقام بدور المعلم والمدرب والقائد الذي يزودك بالشحنات الايجابية وطاقة السمو.

رحمك الله يا أخت أم إياد، أوجعيتنا بالذكرى ولكنها محببة رغم ذلك!

لقد هاجت الذكرى وانتفضت الأوراق القديمة وصرخ القلم بصوتٍ عال، وتسربت من حقل روحي مشاعر الحب الغامرة والشوق المعتّق للرواد الاوائل. والذي من حديد زردهم قُدّ صلاح خلف، فاسمحي لي في ذكرى وفاتك أن أعيد رسم صور لم تفارقني لأولئك، وله، في الأعالي رحمهم الله ورحمنا معهم مع الأنبياء والشهداء والصديقين والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

تتلمذتُ بكل محبة وامتنان على أفكار العمالقة أمثال خالد الحسن (ابو السعيد)، وأبو ماهر محمد راتب غنيم، وأبو طارق هاني الحسن، وصلاح خلف أبو إياد، ووالدي محمود علي ناصر أبو بكر وابو علي المطري (مسؤولي الحركي)، ونهلت من نبع خليل الوزير أبو جهاد، وجاورت سليم الزعنون (أبو الأديب)، وكان لنا بأبي عمار ياسر عرفات الأيقونة النضالية التي لا تموت ولاتبهت مع مرور الأيام.

في الصورة الثانية التي قفزت إلى ذهني، كنت رئيسًا للاتحاد العام لطلبة فلسطين، ودعونا الأخوين صلاح خلف «أبو إياد» وسليم الزعنون «أبو الأديب» عضوي اللجنة المركزية في

حركة «فتح» لحضور احتفالية يوم الكرامة والأرض السنوية على مسرح سينما الأندلس في الكويت الجميلة، وكان المسرح غاصًا بالجماهير وفي مقدمة الصفوف الأخوين الكريمين مع مدير مكتب منظمة التحرير الفلسطينية حينها عوني بطاش «أبو محمد» رحمهم الله جميعا، وخضت للمرة الثانية تجربة الحديث أمام جمهور واسع وكبير فحفظت ما أود قوله عن ظهر قلب، فالتوتر من اللقاء الجماهيري ورغم كل هذه السنين مازال يتملكني مع أنني فهمت واستطعت تحويله لعمل تحفيز من جهة وعمل تجدّد، ما جعلني لا أعيد ما قلته وإن كان بنفس الموضوع إلا بتجدّد ولو ضئيل، دعونا من ذلك ولنعد للحفل حيث ألقيت كلمتي القصيرة وصفّق لي الجمهور ونزلت من على خشبة المسرح لأجلس بالصف الأول قرب أبي إياد فما كان منه إلا الثناء على الكلمة مرفوقة بابتسامته الصافية والتشجيعية الخفيفة.

أبو إياد الذي قدِم إلى الكويت بعد معركة الصمود الكبير والأسطوري في بيروت عام 1982 كانت جحافل الناس تترقب كلمته في أحد مدارس الكويت، حيث غصّت الصالة الرياضية الكبيرة وجميع ساحات المدرسة حتى خارجها إلى الشوارع بالجماهير المتدفقة، تترقب الرجل الكبير حين يتكلم.

وكان ما كان من نار الشوق التي أطفأها الراحل بقوة كلماته، وتصميم صوته الأجش ونبرات صوته الصاعدة

والهابطة والدافقة بالحيوية والعزيمة والتصميم، فنشَر بين صفوف الجماهير شحنات لم تنتهي من وقود الحرية ودفقات الانبعاث المتجدد للعطاء والعمل، فهو كان من يتقن فن التحفيز وفن الحديث وفن إطلاق الطاقات الايجابية وهي التي تظهر من المؤمنين الثابتين على الحق في أحلك الظروف، ومَن للحلكة أكثر قوة ودهاء من «أبو عمار وابو إياد وأبو السعيد» وأخوانهم السعداء بإذن الله في جنتهم؟

التقينا مع القائد الراحل صلاح خلف في بيته بالكويت، وكان له من العادات الايجابية الكثير إذ لم يكن يميّز بين الكبير والصغير بحسن المعاملة، وأحسب خالد الحسن «أبو السعيد» زميله في اللجنة المركزية لحركة فتح كان من ذات الفئة المرحابة، والذي لطالما زُرناه أيضًا ونهلنا من علمه الغزير الكثير، وكأنني أتصورهم جميعًا يحملون مورثَات (جينات) الرحابة والحب والاحتضان والإيجابية والتحفيز وعدم التبرم بالآخرين!

المهم أنه في هذا اللقاء، في بيت أبي إياد، دون غيره من اللقاءات الأخرى الكثيرة، وكنت قد انهيت رئاستي لاتحاد الطلاب وأصبحت عضوًا منتخبًا في لجنة الإقليم، وجئت مصطحبا زميلي اللاحق في رئاسة الاتحاد، كان غاضبًا جدًا إلى درجة مثيرة، فلم نراه بهذه الصورة من قبل! فاستأذناه بالرحيل فرفض بإشارة من يده أن اجلسوا! وظل يذرع

الغرفة جيئة وذهابًا ويدخن بشراهة وكانه ينفّس عن غضبة بهذا الهواء المنفوخ من مقدمة اللفافة، ويتكلم بكلمات قاسية لم نعلم لمن كان يوجهها، ولما تجرأت وسألته من المقصود بكلامه؟ أفاض بالشرح فكانت الطلقات السريعة قد أطلقت بعميق كلامه لتصيب أيقونة الثورة الفلسطينية ياسر عرفات، فذهلنا!.

كان طبيعة العلاقات المتوترة في عديد الأحيان بين الأخوة بالقيادة تحل غالبًا بمنطق المحبة وهو أحد أهم أركان القيم بالحركة ما أسميناه (قانون المحبة) الذي به يتم العفو والسماح بمجرد ممارسة النقد أو الاعتراف بالخطا وأحيانًا بمجرد اللقاء ذو البِشر والحبور، وكان الأخوة حين سرورهم بعد فترات التوتر وحين يُسألون عنها يردّدون بيت الشعر- المعتمد لديهم على ما يبدو- الذي لطالما سمعناه من ياسر عرفات وصلاح خلف وأبو الأديب وهو ما كان في أحد اللقاءات اللاحقة حين احتفلنا بالقادمين إلينا، (إثر مصالحة أخوية بين العملاقين أبو عمار وأبو إياد بادر لها كالعادة أبو عمار) وقاموا بحضورنا بترداد بيت الشِعر الشهير مع ابتسامة ياسر عرفات الأليفة والأنيسة والماضية.

كان الخالد فينا أبو عمار يرّدد الشطر الأول من البيت فيكمل الشطر ثاني أبو إياد، أو أبو الأديب وهو الأديب والشاعر أيضًا، أو كان أبو عمار يذكر البيت الأول-ما حصل أمامنا،

وفي مناسبات عدّة- فيكملون له البيت الثاني لقصيدة الإمام الشافعي الرائعة القائلة:

وَعَــيْنُ الـرِضـا عَــن كُــلِّ عَـيـبٍ كَليلَةٌ
وَلَكِنَّ عَينَ السُخطِ تُبدي المَساوِيا

وَلَــسْــتُ بِــهَـيّـابٍ لِـمَـن لا يَهابُني
وَلَستُ أَرى لِلمَرءِ ما لا يَـرى لِيا

فَــإِن تَــدنُ مِـنّـي تَــدنُ مِـنـكَ مَــوَدَّتي
وَإِن تَنأَ عَنّي تَلقَني عَنكَ نائِيا

كِـلانـا غَــنِــيٌّ عَــن أَخــيــهِ حَـيـاتَـهُ
وَنَــحــنُ إِذا مِتنا أَشَـــدُّ تَغانِيا

لنا أن نغترف الكثير من منهل الصور والذكريات والمواقف القريبة إلى القلب والتي تملأ الروح فخرًا وبهجةً وإشراقًا- ولكن سنكتفي إلى هنا لعلنا نوصل الرسالةـ ونختم مع صلاح خلف في الجزائر.

كان الجميع يترقب المشهد السياسي المنعقد في سيدي فرج بالجزائر في كثير من المبادرات، إنها الجزائر العظيمة شقيقة النضال الفلسطيني حتى اليوم، وهي صاحبة مقولة أننا مع فلسطين ظالمة أو مظلومة، إنها العظيمة ولم لا وهي أم الثورة التي اقتلعت المستعمر الغازي من جذوره.

الحاصل أنه في جلسة المجلس الوطني الفلسطيني،

باحتضان الجزائر، وبعد معركة داخلية شرسة بين الفصائل في إطار منظمة التحرير الفلسطينية، وحيث حضرت المؤتمر، كانت كلمة صلاح خلف «أبو إياد» الدافقة هي كلمة الفصل بين مداخلات الفصائل المعارضة، وبين كلمة أبو عمار التي لطالما مثلت خطًا جريئًا واستباقيًا ومختلفًا في كثير من الأحيان عن خط الفصائل خاصة اليسارية أو هكذا كانوا هم يرونها، فيأتي صلاح خلف ليجمع ما لا يُجمع نظريًا، ويقرّب المسافات بفيوض فكره وعاطفته وحدبه، ويعطي كل ذي حق حقه، فلا يقصّر في النقد للاتجاه يمينًا، ولا يملّ الاقتراب من اتجاه اليسار، لقد كان الليث واقفًا وراء المنصة، لكنه بالحقيقة يصول ويجول تمامًا وكأنه في معركة، ليحوصل بعد خطبته المسارات في الحل النضالي التوافقي الذي دأبت الثورة الفلسطينية على السير فيه ضمن منطق ياسر عرفات «أبو عمار» بعيد النظرات، وكأنك كنت ترى اختلاف قيادة الثورة الفلسطينية آنذاك تنويعات على ذات اللحن، أو أصوات جميلة بنغمات متعددة ومتمايزة ولكن كلها تصدح بحب فلسطين.

قبل استشهاده بفترة قصيرة (استشهد في 14 يناير 1991م) فترة غزو الكويت، ربما قبل أيام، عبّر العملاق في مواجهة فاصلة مع أخوة لنا رفضه المبدئي لاحتلال الكويت ما أبلغ به القيادة العراقية آنذاك بلا خوف ولا وجل بل مباشرة، وهو ذات الموقف الذي اتخذه جهارًا نهارًا خالد الحسن «أبو السعيد» وقيادات أخرى بالثورة الفلسطينية، رغم طبول

القومية الهادرة، وطبول التحرير التي بدأت تظهر للبعض كرايات على القمر وفي أعالي الجبال.

الحقيقة التاريخية والنضالية تقول أن تحرير فلسطين، بسواعد أبنائها، ولا تمر عبر أي عاصمة عربية أو غير عربية، وإنما يأتي التحرير من تجمع سيوف الأمة أجمعين انطلاقًا نحو القدس عاصمة الامة العربية والإسلامية، كما دأب يردّد الخالد خالد الحسن «أبو السعيد» (1928-1994م).

صلاح خلف «أبو إياد» كان حلم العطاشى للارتواء، وكان حبّات المطر للأرض الجدب، وشكّل مظلّة للسائرين في رِكاب أيديولوجيات الصراع النظري المتنافر حين كانت الثورة تمتلىء بالنظريات والنقاشات والأفكار الكثيرة، وإلى ذلك كان الإيمان لديه من طراز المؤمن القوي، وإن في كل خير، وكان واخوانه مما بدأنا الإشارة لهم لا يملكون في جيوبهم إلا بوصلة فلسطين.

رحم الله أختنا أم إياد، ولأهلها ولكل شعبنا الصبر والسلوان ورحم الله صلاح خلف أبو إياد.(2021/9/1م)

ياسر عرفات الثائر العظيم صاحب الكوفية[3]

كُتِبت مئاتُ الكتب، ومئات آلاف الوثائق والمقالات حول الخالد ياسر عرفات زعيم فلسطين المتموضعة أبدًا في مقدمة مَركِب الأمة العربية، وقائد المقاومة الفلسطينية منذ انطلقت ثورةً هادرة تستنهض الأمة وتتقدمها، ولعبت بالسيوف والكفوف كما تعاملت مع الكبار والأذيال بالعام 1965 وما بعد النكبة عام 1948 وصولًا لوفاته المثيرة والمفجعة والمشرّفة عام 2004 بيد أشرار الأساطير التوراتية والسطو والهيلمان والعدوان على البشرية.

ياسر عرفات –الذي بعد 20 عامًا من رحيله مازال ملء السمع والبصر– تجده مع ملايين المواقف والنظرات والابتسامات والغضب والرصاص والسلامات والقبلات والمصافحات والأوراق الممزقة والعيون المقتحمة من أجل فلسطين، امتلكه كل من قابله أو تفاعل معه لذلك لكلّ منّا قطعة منه، وكيف للأيقونة ألا تكون على صدر الجميع.

لك النظر للأقلام الجريحة حين تكتبُ عنه، عدا الصور والمقابلات والأشرطة المرئية وما تجدونه بالكتب من مذكرات

3- عن ياسر عرفات أبو عمار كتبت الكثير، ومنه ما جمعته في كتابي المعنون ياسر عرفات تاريخ من صنع يديه.

رجال حول الرئيس من جهة، وبلسان أصدقائه وملايين من محبيه حتى لو اختلفوا معه.

وعدد من كارهيه وحاسديه الذين كانوا يطلبون ما لا يمكن فينزعجون، ويفترضون أن وجودهم على قارعة رصيف المقاومة والثورة والكفاح الوطني القومي ناتج عن ياسر عرفات وليس عن انعدام هممهم وسوء طويّتهم فهم أي هؤلاء المرتكسين الأرزقيين المنافقين.

ياسر عرفات حمل السلاح بيدٍ وغصن الزيتون بيد، وكان إلى جانبه محمود درويش وسميح القاسم وأبو سلمى وهارون هاشم رشيد وخالد الحسن وماجد أبو شرار وعبد الوهاب كيالي وبهاء البخاري وأبو عرب وغسان كنفاني وهاني الحسن، وهاني جوهرية، وسُلافة مرسال، ومنير شفيق، ود. محجوب عمر وأحمد عبد الرحمن ونبيل عمرو... من كبار مثقفي وفناني وأعلامي ومفكري فلسطين والأمة. وعاهد «الختيار» مجايليه من الرواد أمثال أبو جهاد وأبو إياد وسعد صايل وأبو ماهر غنيم وفاروق القدومي وجورج حبش ونايف حواتمه وأبو علي مصطفى وعبد الرحيم ملوح وأبو العباس وبسام أبو شريف... والكثرة المقاتلة على الثورة حتى النصر.

لم يفُته قط أن يلتفت لعثرات الطريق ففتح الطرقَ الجانبية والالتفافية شمالًا ويمينًا لأنه عندما تكون في مستنقع عربي-عالمي غرقت فيه الأمة فمن اللازم أن تتخذ وضعًا هجوميًا دون

أن تفرط بحبال النجاة، وإلا فالابتلاع لك وللقضية في حكم الحاصل.

صاحبُ الكوفية (الحطّة العربية الثورية المقاومة) وإشارة النصر التي رفعها قبله «تشرشل» الذي حقق نصر بلاده في الحرب الأوربية الثانية الموصوفة بالعالمية وإن كان هذا الأخير لا يتسحق أن نتشبه به، لأنه أحد المأفونين الذين قدموا فلسطين «هدية» للحركة الصهيونية إلا أن شارة النصر بين يدي ياسر عرفات ظلت ترافقه فترات الصعود والهبوط.

يكتب الاخ أبو وديع عريقات في بدايات البطل الذي لم يفهم أن يتنفس إلا من خلال فلسطين وعلى لسانه: «يقول جون فوستر دالاس: لسوء حظ هذا الشعب أنه جاء تحت أقدام الفيلة، الكبار يموتون والصغار ينسون. ويردّ عليه الشهيد القائد الرمز ياسر عرفات في أول معسكر للأشبال في البقعة بالأردن: أنا بتكلم لعِظام «جون فوستر دالاس» بقولها لعِظامه، تعال شوف مَن الذين يقاتلون دفاعاً عن فلسطين، هؤلاء أشبال فلسطين، أطفال فلسطين ما لا ينسون».

وكتب بنفسه بالقلم الأحمر أواخر حياته المضطربة والحافلة والمهددة والمتذبذبة والجياشة والعميقة «يريدونني طريدًا أو قتيلًا أو أسيرا وأنا أقول لهم شهيدًا شهيدًا شهيدًا»، ومكررا دعوته للأمة العربية والإسلامية التي آمن بها وجعل من ذاته والمقاومة الفلسطينية مقدّمة القافلة لخيولها وسيوفها

المصقولة «ع القدس رايحين شهداء بالملايين».

أبو عمار الذي زار ودار وتحدث وتكلم مع كل قادة العالم الثائر أو أغلبهم ولد في قلب المعركة فلم يكن ليخرج من طموحه في فلسطين الديمقراطية لكل المؤمنين إلا على صفير الصواريخ فوق رؤوس الفلسطينيين، ثم فوق رأسه عندما حوصر ثلاثًا في بيروت ثم في طرابلس ثم في رام الله.

ظل النمرُ الفلسطيني الرابض أو الليث (وهو من برج الليث، ما حبّذه لفظًا مقابل تسمية الأسد) مقدامًا يفهم معنى التقدم والتراجع، ويفهم المعادلات وكل الخيوط بين أصابعة في مناعة القوة حين ترتبط بفكرة التحرير لا سيما مع شعب جعل من الصبر والرباط والثبات والصمود مدرسته منذ قرر الرسول ﷺ وبأمر من الله سبحانه وتعالى أن ها هنا في الشام وفي فلسطين تكمن أمة الجهاد والنضال والرباط.

قال الرسول ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم إلا ما أصابهم من لأواء، حتى يأتيهم أمر الله. وهم كذلك»، قالوا: يا رسول الله وأين هم؟ قال: «ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس».

عينا أبو عمار لم تغمض ليلةً عن فلسطين سواء في الطائرة التي كانت تنقله من بلد إلى آخر، أو حين كان يحمل بندقيته في وجه المؤامرة الكبرى أو في وجه المحتل المختل بفهمه «التناخي» السقيم وظنّه أنه يقود العالم بصفته النقية حيث لا تجد فرقًا

في معادلة النقاء العرقي أو الديني أو الفكراني (الأيديولوجي) بين جميع الأفكار المتطرفة أكانت داعشية أم من (جيش الرب) المسيحية، أم نازية أم فاشية أم هندوسية متطرفة، أم يمينية «تناخية-توراتية» أم صهيونية فكلها من ذات الصحن القمعي تأكل.

ياسر عرفات حين تكتب عنه تخلصُ الاحبارُ، وتفترض أنك تجلس طويلًا أمام شاشة الحاسوب، أو أمام الأوراق الدامعة حيث تم التخلي عنها في زمن الذكاء الصناعي وثورة المرئيات الفاسدة والمفسدة للعقل والروح.

ياسر عرفات وأنت تكتبه أو حين تتأمله مبتسمًا أو غاضبًا يثور في نفسك السؤال الكبير ماذا يعني؟ وماذا يريد؟ وهو هنا يكون قد تجهّز لِيُرسلَ من الرسائل العشرات. فلا تظن أنه للحظة كان يقصدك أنت.

أولئك الذين كتبوا ضده بافتراءات وأرجاس خارج معنى النقد الواجب، هم النفرُ القاعدُ طوال عمره على قارعة طريق المقاومة والنضال التي قادها الختيار ما كانوا شيئًا في حياته، ولم يدخلوا نفسًا في منخري الحصان العربي الأصيل! وظنوا أنهم في ظل التقانة الحديثة وانتشار الكلام الذي كثيره غثٌ وأقله سمين قد يمررون في كتبهم أو لقاءاتهم المرئية على الشابكة (انترنت) ما لم يستطيعوا أن يقولوه في وجه الرجل الذي لم يكن يومًا قديسًا، وما كان نبيًا محتالًا، ولا «مرشدًا»

لهذا النظام ولا لتلك الجماعة التي تدعي العصمة، والدين الصحيح دون أمة المسلمين!

رفض ياسر عرفات بكل ما أوتي من قوة فكرة القسر والإجبار عبر التقديس وهي فكرة ينافس فيها المقدس كل الآخرين فلا نجاح بالقطع قد يتلمس أي من زوايا وجهة نظرك حين تكون امام (المقدس) كمرشد أو حزب إلهي أو قائد بيد متوضئة يفترض أن الشمس تشرق من عينيه! بل اتخذ من عقيدة حب فلسطين وعقيدة الحوار الصعب والمضنى مدرسة له، فمهما خالفوه وعاتبوه وقاتلوه بالحِراب المسمومة كان يميل عليهم برداء الاحتضان فيشملهم أجمعين.

ياسر عرفات مهما كتبت عنه أنت أو غيرك شرحًا أو تبيانًا أو دفاعًا وذودًا، ومهما قلت عنه سياسة وعملياتيةً (براجماتية) هو أب كبير بصيغة قائد، وهو إنسان ضعيف بجلد هزبر أو نمر عربي فلسطيني أبيض لن تجد من مثله إلا القلّة.

في خضم العدوان الفاشي على قطاع غزة والضفة الغربية تساءل الكثيرون ماذا كان «الختيار» ليفعل في ظل هذا المستنقع الإرهابي الصهيوني؟ وكيف كان ليتصرف؟ ومنهم قادة ومفكرين وكتّاب عظماء كبار وإعلاميين مرموقين قرأنا لهم، لم يتخلوا عن رداء الوفاء للرجل فذكروه في كل مقالة أو نفس يتنفسونه نعم، هكذا كان أبو عمار الذي استشهد ليصنع من روحه مساحة اقتسام أبدية يتناقل مقاومتها وثوريتها

ووطنيتها وعروبيتها وإسلاميتها وحضاريتها وانفتاحها كل مَن على هذا الدرب الشائك والصعب والمتفجر سار أو فكر أن يسير.

خاض المخاضة وشهد المشاهد بل كان هو الصانع لها، وهو الذي رفض التنحي جانبًا، ففلسطين أبدًا في الوسط، فقاطع أفكاره كل أنظمة الطغيان والاستبداد بالعالم العربي التي زال قادتها مرفوقين بآلاف اللعنات، لكنهم عند ياسر عرفات توقفوا لا يعلمون ما يقولون! فإن أحسنوا فهم لم يأتوا بجديد، وإن أساءوا له يقال لهم أين كنتم!؟ ومَن أنتم!؟

ياسر عرفات رجل الجاذبية الطاغية (كارزيما) أمتلك جاذبية الفدائي المقاوم الزاهد العابد المثابر كما امتلك جرأة وشجاعة وندّية رجل السلام، فحين جنح لها كان يعرض أمام الجميع مبررات إيمانه، ويعمل في الطرق المتعرجة ليفتح مسالك جديدة، ولم يتزحزح لحظة عن فلسطين التي سعى اليها قطعة قطعة إلى أن تتكامل في نهاية المطاف واحدة موحدة بهييّة طليّة نقية. (2024/11/11م).

ياسر عرفات والحديد

وقف... بكل ثقة منتصبا معتدلا مبتسمًا

ينظر من خلالك إلى البعيد

ساهمًا متفكرًا حالمًا وسعيد...

وقف حين جلس الجميع

وارتكز على ما لا يميل.

واتكأ على النبالة والشهامة والأفق العظيم.

وقف ياسر عرفات وما كان لوقفته مثيل...

يده اليمنى على خصره ويشير باليسرى نحوك

كأنه للحرية والقضية والسؤدد يدعوك.

وقف الهِزَبر يقارع هموم الساعة واحتمالات الساعات القادمة...

وفي وقفته رسم أشكالًا لم تخطر على بال...

من خيط الشمس رسم ومن بواقي ظلمة الليل رسم

ومن كحل عيون الجميلات رسم ومن حديد بنادق الفدائيين رسم

ومن علياء ابتسامة الفارس رسم.

وقف ياسر عرفات... رجل من حديد

ومغوار وإنسان من زوايا العالم السري انبثق وارتبط بأمه وانطلق...

وقف ياسر عرفات بشموخ شجرة السرو

مستهزئًا بالمخاطر،

ساخرًا من انهزام الآفلين...

فهو القادم قِدَم اليقين

والصاخب مع اطلالة الفجر القديم

والساحر عند تعامد الشمس على كتفه الأيسر...

وقف ياسر عرفات معلنًا نجاح النور في الليل البهيم...

ومعلنًا انتصار الكرامة في أعين الأطفال والأمهات

وبطون الجوعى وخواطر الفلاسفة وأصحاب الرداء الجميل...

وقف ياسر عرفات وما لوقفته نظير أو منافس أو مثيل...

في وقفته الثابته المعتدلة النابضة شكّل بنقوش أفكاره قوسًا من النجوم

انها النجوم التي وزعها على لجين أبطال المعارك من زمن الفلسطيني الأول

حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وقف ياسر عرفات باذخًا سامقًا باسقًا

لا يركن للوجيف ولا الرجيف ولا للعيون الكسلى في قعر بئر الارتكاس والانتكاس والانكفاء غير المستقيم...

وقفة عز ياسر عرفات تكررت آلاف المرات فيه ومنه فيك،

وحيث سخر الحرُ من القيود وأسلم رأسه لخالقه فكسر الموانع والفواجع

وأطلق في الأفق صيحة النمر الأرقط

وشهامة الشبل الجليل....

هل قلت لي أن ياسر عرفات وقف؟!

وما رأيته إلا كذلك،

وحيث اهتزت لوقفته كراسي وعروش وهامات ورجال ذوي هيلمان وكروش....

إنه الواقف أبدًا ليفتح لك الطريق

ويحرس لك المنافذ كلها

ويدلك على سُبُل لم تحلم ان تجد لها بديلًا

أو الأصبع فاحش وضيع...

وقف ياسر عرفات

يتقدم الجموع

ويهجم على فواتك الجيوش

بصلابة النفس المطمئنة

والعين الشهلاء وأقمار زمن العبير.

أراك لوقفته تعجب!

نعم

وحق لك ذلك

فما لا مثيل له عجيب

وما لا بديل له غريب

وما لا عِوض له رغيب...

ياسر عرفات حجر العشق الانيس

وكهرمان الفكر المنطلق لا الحبيس،

حبيب الشعب والناس والبطل النفيس...

أراك مازلت تتفكر في وقفته والابتسامة

وعيون الصقر واللون الأخضر

والسر الحبيس

ولا أظنك ستستدل على أسرار وقفته وبشاشة وجهه واكتشافات الحديد

بكر ابوبكر 2025/6/5م وقفة عيد الأضحى المبارك وفي منثور طغى على ذهني وأمر، حين رؤية صورة لأبي عمار أرسلها صديق في وقفة عرفات-الحج وبالصورة ياسر عرفات واقفًا يبتسم بشموخ!

خالد الحسن وشكل الطريق[4]

ليس من السهل أن تقرأ للمفكر والكاتب الكبير خالد الحسن رحمه الله، سواء في أوراقه السياسية العديدة، أو في تحليلاته ذات الطابع العروبي الخالص والمفعمة بالإيمان العميق بالنصر.

كما ليس من السهل أن تطّلع على كتبه ودراساته الفكرية الرصينة، دون استغراق. وهي الكتب التي جالت بين دوائر متعددة في المعنى والماهية، وفي الفكرة والاسقاطات، وفي طريقة الفهم وتعدد الأفهام، وفي مناهج التفكير، وفي الاستراتيجي والمرحلي.

في ظل العدوان الفاشي على فلسطين وعلى غزة، وبمناسبة ميلاده في 1928/2/13 (توفي عام 1994م) فأنك لن تستطيع فكاكا من أسر مفرداته، ومصطلحاته وتعريفاته، وطريقة رؤيته للأمور وتوضيحه لمجريات الأمور السياسية والاقتصادية والاجتماعية على غير الهيئة أو الصيغة التي يعبر فيها زملاؤه عنها.

خالد الحسن (أبو السعيد) – كما كان إخوته الكبار من

4- أيضًا كتبت عن المفكر العروبي الفتحوي خالد الحسن عديد المقالات، وقمنا بإعادة إصدار مجموعة من كتبه بطبعات جديدة، رحمه الله شكل علامة فارقة في الفكر الثوري المقاوم.

نفس جيل ثورة المستحيل -ثورة بساط الريح- كمال عدوان وصلاح خلف وماجد أبو شرار، وجورج حبش وعبد الوهاب الكيالي وسليمان النجاب، ونايف حواتمة... ولاحقا صخر حبش وهاني الحسن وعثمان أبو غربية...- كان عمودا من أعمدة الفكر في الثورة الفلسطينية، كما في الحركة أولئك الذين استطاعوا تحقيق الربط الفكري الثقافي الصلب، بالوضع السياسي المتغير الذي كان يطغى بمفرداته اليوميه وحراكه السريع على تنظيرات المفكرين طويلة النفس تماما كما حرب الشعب.

ان المفكر ينهد نحو المستقبل، ويرى الحاضر بواقع ارتباطاته وصيرورة حركته متنبئا بالمآلات والنتائج من النظر في منحى العلاقة بين القيادة والجماهير، وعينه أبدا لا تتحول عن الخصم أو العدو الأساسي، وفي استبصار للمتغيرات الداخلية والخارجية وفق معادلة مركبة يستطيع عبرها حل الرموز والابهامات.

يعمل المفكر على رسم شكل الطريق أو الطرق، لأنه لربما يكون للنتيجة الصحيحة أكثر من طريق يمكن اتباعه تماما مثل حل مسألة الرياضيات التي قد تقبل أكثر من مسار في جميعها الباب المؤدي للنتيجة أو الحل.

ويأتي هنا دور القائد السياسي بعد المفكر للنظر في الطريق الأقصر أو الطريق الأسلم أو الأوفق وفق تقديره

للوضع القائم والمتغيرات، أو وفق مصالح القوى المتنافسة في ظل تعظيم مستوى الفائدة أو المصلحة المتحققة للقضية وليس لذات القائد.

خالد الحسن من تلك القيادة الفريدة التي جمعت بين الفكر والثقافة والعقيدة (الأيديولوجية)، وبين السياسية والإدارة الإنسانية، وتكاد تلمس في كتاباته -ومن جايلوه ممن ذكرنا وغيرهم- البعد الوطني (والقومي) الإنساني، والبعد المستقبلي، والبعد الإيماني فلا انقطاع للأحبال الثلاثة أبدا فالقضية قضية عقدية إيمانية مرتبطة بحبل من الله وبحبل من إرادة البشر، والقضية تملك مفاتيح المستقبل مادام القابضين على الجمر هم ملاك المفاتيح التي سيتم تسليمها كما هي للجيل الصاعد إن لم تهتدي الاجيال الحالية للأبواب.

أبو السعيد رحمه الله لم يكن ليترك أي فرصة دون أن يتخذ مقعد المنظّر والمعلم، والأب الموجه بسلاسة لا تقطع حبال الود وبلطافة لا تشعر المستقبِل بضعفه الفكري أو السياسي أو المعرفي عامة، بل بطراوة اليد الحانية التي تسير بك إلى النهر لتشربان منه معا.

في مقابلاته وكتبه وكثير من ندواته ومقابلاته فإن للفكر والسياسة والاقتصاد كثير ارتباط حتى يصح القول أن ما يتحدث فيه هو اقرب للفكر السياسي ولفلسفة علم النفس السياسي دون الإضرار بمفاهيم العلوم السياسية والقدرة على

استجلاب الجماعات التائهة عن مجرى النهر اليه.

يقدم خالد الحسن الفكرة برداء العقيدة الوطنية، والمصطلح بعمقه العربي والقومي، والسياسة من حيث هي المصالح السياسية-الاقتصادية-الثقافية الجامعة للقضية والأمة معا وبأبعادها العالمية، ويقدم المفاهيم العديدة، التي منها مفهوم القائد من حيث هو والجماهير متماهيان، ويقدم النظر للتعامل مع الدول العربية من زاوية التضامن والتعاون والوحدة التي لا بد منها، إن عاجلا أو آجلا، لأن بها تتأسس معادلة النصر بإقامة الدولة الديمقراطية في فلسطين، وطرد الاحتلال وفكر الاستعمار والاستعباد، والتخلص من الاستكبار والاستبداد. (من المقدمة التي كتبناها لكتاب أبو السعيد من يحكم الآخر أمريكا ام إسرائيل).

هاني الحسن والمشي على الماء[5]

في ذكرى استشهاد القائد العربي الفلسطيني الفذ هاني الحسن تفرض الكلمات نفسها عليّ فلا تخرج إلا بارادته هو، ولا تظهر إلا بتوقيعه، كما تشتاق لعناقه والنظر في مسارب أقواله وأفعاله وحاد نظراته، وفي وجهه الصبوح.

كان أبو طارق فكرا فذا وعقلية تحليلية مشوقة وقدرة لا تخطئها العين على إدخال الكوادر والأعضاء في حركة فتح وخارجها في مربعه ونطاق مفاهيمه وسياق دوائره، فكان من يستمع إليه يطير بالهواء وأحيانا ما يمشي على الماء.

اذ استطاع هاني الحسن الكاتب والمؤلف أن يؤلف 14 كتابا في مجالات السياسة والتنظيم والفكر عالجت (اتفاق أوسلو) الذي رفضه، والماء خلف السد والثورة، وعالجت (ينابيع) الفكر السياسي والتنظيمي، وفكر (النديّة) مع الآخر، وآليات شحذ الارادات كما كان يردد في مثاله الشهير (الحية والعصفور)، ولم يكمل كتابين مهمين هما كتابه عن المفاوضات التي قادها مع فيليب حبيب للخروج بقوات الثورة من بيروت عام 1982، وكتاب آخر كان يجهز فيه تفصيلا

5- نشر المقال لأول مرة في 2013/7/11م، وكتبنا أكثر من مقال عن الأخ هاني الحسن أبو طارق الذي عملنا معه سنوات، وتم انجاز كتاب: النوء العاصف والحضور الأنيق عن هاني الحسن بقلم حسان بلعاوي.

لسيرته العطرة منذ حيفا المحمولة على البحر بلده (بلدنا) التي احتفظ منها بذكريات تعزّ على الوصف، وهو من أطلق عليها جملته الشهيرة (حيفا المحمولة على البحر).

هاني الحسن صاحب نظريات التفاؤل والاقدام، ورفض منطق ما كان يسميه (فكر النعي) أي السوداوية والسلبية ظل ملازما له حتى في مرضه متمسكا بالعطاء والاشراق فلم يتوقف للحظة عن القراءة والتفكر ما اشتهر به اتفقنا معه ام اختلفنا.

هاني الحسن كان كما ردد هو من (صناع النجم) قاصدا ياسر عرفات إذ كان يرى أن صناعة القائد والزعيم يسهم بها مجموعة من الأقمار التي تدرك أهمية أن تحيط بالنجم تدفعه للأمام وتصوبه وتنتقده داخليا وتنقل له الحقائق وترسم صورته المشرقة في إطار الشفافية والمحبة وخدمة القضية والجماهير.

لقد اشتهر هاني الحسن المنظّر الثوري والمفكر والسياسي والعقل المنفتح باقتباس العديد من الآيات القرآنية الكريمة في خطاباته متأملا بها بشكل جديد وراسما لها شكلا خاصا به في اطار الفهم والوعي والادراك المنفتح. انه القدرة المتواصلة على اجتراح الجديد فلم يكن ليكرر ذاته بشكل آلي بل كان يطعّم كل أفكاره بالجديد والمتطور لا سيما أن وقت قراءاته كان أحيانا يصل به الليل والنهار.

هاني الحسن حيث تحط المراكب مرتاحة على كتف الميناء، وتهدأ العواصف والأنواء أو تثور، وحيث يرتفع الحب إلى العنان برقة، وتنشده الوجوه ويفغر المفكرون أفواههم حينما يجلسون معه، ويحارون أحيانا بل قل كثيرا فلا يجدون منطقا للرد فيوافقونه بقناعة أو وجد.

هاني الحسن (العمل العسكري يزرع والعمل السياسي يحصد ومجنون من يزرع ولا يحصد) وهاني الحسن حيث (ستطفأ أضواء دول وتضاء أضواء دول) ما قاله قبيل الانهيار السوفيتي وهاني الحسن صاحب الألق الرافض للتسويات لأنه ابن حيفاه وحيفانا التي أودعها قلبه وضم عليها الضلوع لم يرغب أن تتسلل من صدره فتزوغ أو يزوغ هو.

هاني الحسن في علاقاته الدولية كان يفجر القنبلة السياسية إثر الأخرى من اعلانه أن الدولة الفلسطينية قادمة تكرارا في أشد لحظات المحنة، وفي تأكيده على تمازج العمل العسكري والسياسي سواء في ظل الاندفاع أو الاتكاء على ما غير البندقية، وهو ذاته من قال بأن للمحارب استراحة وللشعب أن يتأمل ويخلد قليلا للراحة ولكنه أبدا سيقفز إلى مربع الفعل والكفاح والمقاومة، وفي كل تصريحاته أو آرائه هذه كان يتوافق مع توجهات الزعيم الخالد ياسر عرفات الذي كان يمهد الطريق أمامه بتناسق المفكر مع الزعيم.

هاني الحسن الفكر التنظيمي المرن والقيادة السلسة

ذات الطابع الإنساني لم يتكلّف ولم يتشدد ولم ينهر أو يعنف أحدا، وانما لجأ في غالب حركته القيادية إلى الأسلوب الإنساني والادارة/القيادة الإنسانية التي تبغي تحقق الانجازات حيث ترك المساحات مفتوحة لمن يرغب العمل والفضاء كبير وغير ضيق لمن يبغي التقدم، فمنحه 3 عناصر مهمة هي: المحبة والثقة والعين الفاحصة المتابعة والمرشدة.

جل ما كان يطلبه أبو طارق هو تحقيق المنجزات لان هذه هي حركة فتح حركة الشعب الفلسطيني الذي ينظر للأفعال لا للأقوال استلهاما من رسولنا الكريم، وحيث الدعم منه متاح والأرض تنتظر أن ترى حقائق ناجزة لا قولا مجردا.

هاني الحسن كان يشرق كل يوم فيضيء بشمس معرفته غرفته بمادة جديدة أو فكرة جديدة أو سياق لما انقطع، وكان يحاور نفسه، ويطلب من زملائه وأعضاء الحركة أن يحاوروه، فلم يقتصد في القول وإنما كان يسهب في ظل قدرة عجيبة على الإصغاء ميّزت شخصه كما ميزت معظم قادة حركة فتح عموما، فلم يضع محرمات أو محددات أو كوابح للرأي والرأي الآخر طالما النتيجة اجماع على الالتزام، لكنه وان أنصت لك في مكتبه أو ندوته أو محرابه-بيته كان يرسم للحديث مسارا اجتهاديا مرتبطا بفكر حركة فتح الوطني والعملي والمعتمد على الانجازات والابداعات والانتصارات وهمة الشباب.

هاني الحسن الذي جاء من بيئة الحضارة العربية

الإسلامية لطالما أكد أن شعبنا الفلسطيني بمسلميه مسيحييه شعب مؤمن لا يستطيع أي من ادعياء احتكار الإسلام أن ينصبوا أنفسهم معلمين له فالشعب هو المعلم والإيمان في قلبه لا ينقطع.

كان هاني الحسن فكرا متقدا وأبا حنونا وقائدا إنسانيا وصاحب مفاهيم ذات جذوة ربطت بين العمق الوطني والحضاري العربي الإسلامي في سياقة تعميق التجربة التنظيمية والسياسية والفكرية.

حسن المطري ونور العقل

القيادة الاستبدادية تستمر بإشاعة الخوف أو بالأوامر حيث قطع الرقاب، أو حيث التهديد بالرزق، ولكن القيادة الإنسانية، والقيادة الواثقة بنفسها تأخذ بالاعتبار احتياجات الأشخاص المادية والنفسية كما تأخذ آراءهم وتوجهاتهم ومشاعرهم بالاهتمام.

في القيادة اللامركزية أو الرحبة وهي التي نراها الأكثر استجلابًا للثقة تحتاج لإعطاء مساحة حرية لمن تكلفه بعمل وفق مبدأ التفويض، الذي لا يعفي القائد من المسؤولية.

يسمي «مايكل لي ستالارد» مؤلف كتاب: «ثقافة الاتصال، الميزة التنافسية للهوية المشتركة والتعاطف والتفاهم في العمل» هذا الأمر توفير الاستقلالية في التنفيذ. حيث يقول: «راقب التقدم للعناصر تحت قيادتك، وكُن متاحًا لمساعدة مرؤوسيك المباشرين، لكن امتنع عن الإدارة التفصيلية ما لم يطلبوا مساعدة محددة. تفضّل بالإرشادات بدلاً من القواعد والضوابط، ودع الناس يعرفون أنك متاح إذا كانت لديهم أسئلة أو يرغبون لمن يستمع لهم. هذا يلبي حاجة الإنسان إلى الاستقلالية ويسمح للناس بتجربة النمو الشخصي».

كان مسؤولي التنظيمي الأول حسن المطري رحمه الله في الكويت، (توفي في أمريكا) مدرسة في علم الإدارة والقيادة،

قولًا وعملًا. وكان رجلًا مهيبًا، وجميل الطلعة كما كان منفتحًا لطيفًا باسمًا حسن الاستماع طاغي الحضور، وإلى ذلك كان يُعطي من مساحة الحرية لنا نحن الطلبة آنذاك تحت قيادته ما فاجأني!

تفاجأت بقدرة أبو علي المطري على إعطاء المساحة والحرية ضمن الضوابط، والمتابعة، مقابل من رأيتهم يحاولون حصرك في مساحة تفكيرهم وحدود سجن قراراتهم فقط.

لقد كان قائدًا مهتمًا بالفعل بالأعضاء الذين يقودهم إلى الدرجة التي تراهُ يستمع لك رغم فارق السن وكأنك مفكر عظيم، ويناقشك ويقدّرك وإلى ذلك يفوضك بالعمل أي يعطيك صلاحيات عمل ويدفعك للإنجاز، ولا يتركك وحيدًا بالميدان بل يدعمك من الخلف بقوة.

يقول «مايكل ستالاردين» حول نقطة الاهتمام التي عرّجنا عليها هنا: «إن الاهتمام هو الأكسجين للعلاقات. فعند لقاء الناس، اعتد أن تكون حاضرًا من خلال منحهم انتباهك الكامل. أظهر أنك منخرط ومهتم من خلال طرح الأسئلة، ثم طرح أسئلة متابعة للتوضيح. استمع بعناية، مع ملاحظة تعابير الوجه وإشارات الجسد. لا تقطع الاتصال عن طريق فحص هاتفك أو النظر في أرجاء الغرفة أو ترك عقلك يشرد».

كان أبو علي المطري رحمه الله يضع الأهدافَ ويتفق معك (أو معكم) على الطريق ويترك لك أن تسير بالطريق وتكتشف

الأصلح والأنجح. فالنور لا يأتي فقط من المساحة المضاءة وإنما قد يأتيك في ظل إسوداد الطريق وظلمته حتى لو كنت في متاهة.

إن نور عقلك يبرز مع حرية التفكير، وحُسن الدفع باتجاه ذلك، ويضيق كلما كانت السيطرة والأثرة والتضييق سِمة القائد.

إن إعطاء المساحة ترتبط بالمرونة التي يحتاجها القائد بالتعامل مع ذاته شخصيًا، ليجد مساحته الخاصة وعبر التفويض للآخرين. وعبر الإتاحة لهم للتفكير والعمل بحرية ضمن مسؤوليته ومتابعته.

وفي ذلك يقول الكاتب بالإدارة والابتكار «آبي ترنر»: «عندما يشعر القادة بالإرهاق أو التعب أو الإنهاك العاطفي، يكونون عُرضة لما هو أكثر من المخاطر الصحية المرتبطة بالتوتر. يمكن للقائد الذي يعاني من الإجهاد المزمن أن يؤدي عن غير قصد إلى انتشار ديناميكيات مكان العمل المختلة عبر المؤسسة بأكملها والتي يمكن أن تحدّ من قدرة العاملين على التفكير الإبداعي وتطوير الحلول المبتكرة». لذلك فهو ينصح القائد الاهتمام بصحته الجسدية والنفسية والعقلية ما يؤدي إلى «تقليل التوتر وتجديد الطاقة اللازمة لتحقيق ذروة الأداء».

إن الاهتمام بالتربية الجسدية والعقلية والنفسية والقيمية الاخلاقية هي من أساسيات الحركة الثورية والتي تجدها في

كل الأدبيات في فتح وغيرها، ورغم ذلك كنت تجد في بدايات العمل الثوري من يقصّر بحق نفسه في المجالات الأربعة نتيجة انخراطه المكثف بالعمل ما ينعكس فعلًا على الأداء فيسوء. إن الاهتمام بالصحة وبناء الذات للعضو والكادر، والقائد يفترض الاهتمام بالمجالات كلها وتخفيف الأعباء الإدارية-القيادية عبر التفويض للآخرين وبالمتابعة وبإعطاء المساحات، وإلا سيكون الانهيار مصير المُجهدين وبالتالي اتخاذ القرارات السيئة.

إن ضيق مساحة الحركة أو القول في الإطار التنظيمي (خاصة عبر الاجتماعات الدورية ومن خلال الندوات،...) هي الأساس لانتشار الشائعات وبث روح اليأس والإخفاق، والمحادثات السرية بين الأعضاء تلك التي تتجاوز الأطر الرسمية للحركة أو المؤسسة، وتسهم في تفتيت البناء إذا لم يتمكن القائد من استيعابها وإعادة استثمارها في المساحة الرحبة حيث الاهتمام والرعاية والتفويض حيث وجب والمتابعة الفاحصة والقرار.

سلوى أبو خضرة المرأة المشرقة أبدًا

هي المناضلة التي وقفت ثابتة قوية إلى جانب جميع الرجال من الرواد الأوائل للثورة الفلسطينية «يدًا بيد وكتفًا إلى كتف» كما كان يردد الخالد ياسر عرفات.

لم تعدم منصّة تناضل من خلالها إلا وكانت تعبّر وتطرح وتبادر وتنافح عن قضية فلسطين وأبناء فلسطين منذ كانت صبية (بسن 17 عامًا) تخرج مع اللاجئين من بلدها يافا محروقة القلب إلى سوريا وبلاد العرب. ثم في إطار الثورة، وإطار الاتحاد المرأة الفلسطينية، وكل مجالات حراكها بالداخل والخارج.

سلوى أبو خضرة من جيل الثائر والخالد ياسر عرفات فهي مواليد يافا العام 1929 ميلادي (توفيت في 16/11/2024م)، وفي طوال مسيرتها كانت وفيّة للتربية وللأدب الذي تعلمته بالجامعة، وطبّقته في تعاملاتها الراقية مع الجميع، وحلو لسانها وأسلوبها الرشيق بالحديث، وإشراقة وجهها المرحاب.

قائدة وطنية ونِدّ للرجال

كانت وفيّة لعشق فلسطين ويافا خاصة، ولمهنة التعليم سواء في دولة الكويت أو خارجها، من خلال مدرسة دار الحنان الشهيرة آنذاك (قبل الغزو العراقي عام 1990م)، والتي كانت

إلى جانب أنها مدرسة، أن احتضنت أيام العطلات فعاليات مؤسسة الأشبال والزهرات والفتوة التابعة لحركة التحرير الوطني الفلسطيني- فتح، والثورة الفلسطينية لتكون مدرسة ومركز فداء وبناء من أجل فلسطين. وكانت المدرسة كما تقول عنها أم محمود: «ملتقى للسياسيين والنشطاء الفلسطينيين من جميع فصائل العمل الوطني».

أن تنعى قائدة من قيادات الثورة الفلسطينية، وبنفس الوقت شخصية مؤسِسَة في إطار الحركة والمنظمة وفي الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية فإن «أم محمود» هي الممثل لهذه التركيبة، كما يمكن القول مع القيادات أمثال الأخوات انتصار الوزير «أم جهاد» أطال الله في عمرها، وهند طاهر الحسيني (مؤسسة دار الطفل العربي بالقدس)، وعصام عبد الهادي (من الاتحاد النسائي العربي إلى الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية)، وسميحة خليل (من بُناة مؤسسة إنعاش الأسرة)، ونجلاء ياسين «أم ناصر»، ونبيلة النمر-أم اللطف، وعبيدة الكاظمي، وهند حقّي الحسيني (من قيادات العمل بالكويت) وكوكبة أخرى بقائمة طويلة من الرائدات المشرقات في مسيرة فلسطين والثورة الفلسطينية.

أم محمود سلوى أبو خضرة المرأة «المخرز» في وجه الأعداء، كما كان يسميها الراحل الشهيد فاروق القدومي «أبو اللطف» كان لها صولات وجولات ليس في مساحة التربية والتعليم

فقط، وليس في مساحة اتحاد المرأة فقط، وإنما في مجال صنع السياسة الفلسطينية كما أخواتها ممن ذكرنا والكثير، فلم تكن إلا صاحبة موقف مقدام وجريء ونِدّي (بمواجهة زملائها من الرجال) حين كان صوتها يرتفع قائلًا نعم أو لا في وجه القيادة، بلا رهبة ولا خوف سواء في المجلس الوطني للمنظمة، أو في المجلس الثوري للحركة وفي اللقاءات الأخرى.

لقد كانت من أوائل من استدل على فكرة «الوطنية» الفلسطينية وضرورة أن يقوم العرب الفلسطينيون أنفسهم بدور «الطليعة» و«رأس الحربة» للعمل الثوري المقاوم ما هو أصل فكرة حركة فتح والفدائي، خاصة في ظل المشاهد القاسية والقوانين العربية المجحفة آنذاك في معاملة الفلسطينيين. (في لقاء لها ضمن برنامج «المهجرون» على فضائية فلسطين مع الاعلامية سندس أحمد عام 2016م).

أم محمود ونحن بالكويت

في مرحلة من مراحل العمل مع الأخت أم محمود كنا في الاتحاد العام لطلبة فلسطين بالكويت نتوجه لها في أمور عدة من استشارات نقابية نظامية إلى طلب التوسط لحضور شخصيات قيادية لفعاليات الاتحاد عوضًا عن استضافتها في الندوات والمؤتمرات التي كنا نعقدها، وإلى كل ذلك أن تتوسط لدى أصحاب المال الفلسطينيين هناك بدعم فعاليات الاتحاد،

ولم تكن إلا الداعم المؤازر بذلك، وحتى من جيبها الخاص.

في إقليمم الكويت-لحركة فتح استلمت أم محمود مهمة المنظمات الشعبية، ولما كنتُ من قيادات الطلاب فلقد تواصلت معها في أحدى الانتخابات والتحالفات مع أحد الفصائل الفلسطينية الذي كان غاضبًا على الحركة ولم يجد مكانًا إلا وشوّهها فيه. وكان قرار قيادة الإقليمم وأم محمود في المنظمات الشعبية أن نتغاضى عن الإساءات ونقبل دخولهم للهيئة الإدارية لاتحاد الطلاب، فما كان مني والاخوة قيادة الطلاب إلا أن ضربنا عرض الحائط بهذا القرار، فلم نغفر للفصيل واستثنيناه من القائمة، ودخلنا الانتخابات وحققنا ما نريد من فوز. إلا أن أم محمود عندما اكتشفت عدم التزامنا بالقرار غضبت جدًا.

كان غضب أم محمود مبرّرًا كما أفهم اليوم، فعدم القناعة بالقرار القيادي ما كان يجب مواجهته بتمزيقه، وإن كانت النتيجة بالانتخابات باهرة. وإنما بالالتزام به أو التحاور مرة وأخرى لتعديله أو تغييره حيث علمنا لاحقًا أن الحسابات آنذاك لم تكن تأخذ بالاعتبار البلد الذي كنّا فيه فقط، وإنما ساحات عمل أخرى.

في لجنة الإقليمم لحركة فتح بالكويت تسلمت كعضو لجنة إقليم منتخب مهمة المنظمات الشعبية التي كانت من مهمة سلوى أبو خضرة في الإقليمم السابق، وعليه كانت هي

أول المهنئين حيث ذكّرتني بما فعلتُ ضاحكةً لتقول أنها رغم ما فعلتُ أنا من عدم الالتزام، فلقد منعت قرار تجميدي من التنظيم لأنها تفهمت الأسباب لاحقًا، ولامتني على عدم المراجعة والحوار الذي كان من المفترض أن يكون سِمة العلاقة، وقد صدقت.

سلوى في إطار النضال

يقول الكاتب يوسف عبد الله محمود أنه في وصفها لنفسها تقول: «انا فتحاوية قبل تأسيس حركة فتح. مضيفة أن والدها كان من طليعة الثوار الذين قاتلوا ضد الانتداب البريطاني ومن بعده العصابات الصهيونية».

وتشير كما يذكر الكاتب نفسه قولها أنه: «لأبي الفضل في كوني مناضلة حيث أن والدتها سورية الأصل من عائلة عريقة هي عائلة المالكي، وفي الحوار معها تقول: انضم والدي إلى ثورة سلطان باشا الأطرش حين كان في الشام. وفي يافا بدأ نضاله،...». ويضيف الكاتب: «غادرت سلوى أبو خضرا يافا وهي تذرف الدموع السخية. كيف لا وهي التي فتحت عينيها عليها. كيف تغادر بساتين يافا واريجها وبيارات البرتقال وشاطئ يافا الوضّاء». فأصبحت مقاتلة ومناضلة متطوعة ثم قيادية في الإطار الوطني من الشام إلى الكويت إلى تونس إلى فلسطين.

من مجمل معرفتنا القريبة بها، والمتواصلة، ومن أقوالها (أنظر اللقاء في برنامج مهجرون لفضائية فلسطين أيضًا) استشفينا خمسة عوامل هامة أثرت في شخصيتها:

1. تأثرها العميق بحجم وهول المشاهد القاسية فترة النكبة عام 1947-1948م وما تبعها،
2. تأثرها من شكل التعامل السيء مع أبناء النكبة خاصة من بعض أنظمة الدول العربية
3. حرية التواصل الفكري والاجتماعي في إطار الأسرة الذي رسم شخصيتها الحرة
4. الجو الثوري النضالي المرتبط بوالدها، ثم بالمحيط لاحقًا، والمرتبط بجمال عبد الناصر، والأقران أمثال ياسر عرفات وصلاح خلف، وجورج حبش
5. دراستها وتجوالها بين الدول العربية وحقائق التاريخ المُعاش، وعقلية مفكرة تفهم ضرورة النهوض.

لقد كان لسلوى أبو خضرة أن استدلت في هذا الجو على مفهوم العمل الوطني الفلسطيني ولكنه المرتبط حتمًا بالإطار العروبي ما عنى أن بُعدها العروبي لم يغادرها منذ صِباها حتى كل مراحل حياتها، وهي التي جعلت من فكرة الفجيعة بالنكبة بابًا لرفض اليأس كنتيجة فاتجهت -كما الفلسطينيين بالمخيمات خاصة- للتعليم بكل عزة وقوة، ثم العمل.

كانت مدرسة في التربية والاحتضان للطلاب، كما كانت

سيدة بيت من الطراز الأول، وكانت قائدة في المجال السياسي. وقلما تجد من تستطيع (أو يستطيع) أن يوفق بين هذه المهام، والتي استطاعت أن تنسجها في ثوب فلسطيني عربي زاهٍ.

الطفلُ أي طفل كان بالنسبة لها «كائن مقدس» كما أسمته، ورعته في نموذج مدرسة الحنان بالكويت أكان فلسطينيًا أم من أقطار أمة العرب لم تفرق بينهم، وسواء كان غنيًا أو فقيرًا ورغم أن المدرسة كانت خاصة -أي أن على منتسبيها أقساطًا مالية يدفعونها- فإنها لم تتوانى في دعم غير القادرين ماليًا، كما روى لي الأخ أبو الأمين (باتصال خاص معي بعد وفاتها، لتأكيد ذلك وضرورة كتابته اعترافًا بالفضل لصاحبة الفضل) فيما حصل مع أبنائه بالكويت شاكرًا حامدًا مقدرًا ما فعلت له وأبنائه (ومثله الكثير) من 40 عام تقريبًا.

ذكرت أم محمود أنها كانت تقصد أن تحوّل المدرسة إلى ما أسمته «روح فلسطين»، فكل طفل أو طالب يكتب اسم بلدته أو مدينته في فلسطين، ويتم وضع أسماء كل القرى والمدن ومواقعها على لوحة داخل الفصل وعلى خريطة كبيرة ليراها الجميع ولا ينسون. وينشدون في ساحة المدرسة تحيا الكويت، تحيا فلسطين، تحيا الأمة العربية.

سلوى أبو خضرة وياسر عرفات

كانت (الست سلوى كما تناديها طالباتها وطلابها) جريئة

في الدفاع عن دور المرأة وموقعها ومكانتها في إطار الثورة الفلسطينية وكل محافلها، وأطلقت بدعوة منها معسكرات تدريب خاصة للأخوات في سورية كي لا تظل الثورة حكرًا على الرجال، ما أيده الأخ أبو عمار وتم.

عندما سُئلت عن أبو عمار وهو من أجيالها (بالعمر) قالت أن ياسر عرفات: «هو القائد الفذّ الذي له حسناته وله سيئاته أمثالنا جميعا»، فلم تتجه نحو التقديس وإنما نحو التقدير والاحترام والصدق ما هو سِمة الحركيين والثوار المناضلين وأضافت أنه الراعي والقائد والأب كما قالت (وبالنسبة لها الاخ) ولنا أن نرى إشارات من أقوالها حول أبو عمار كالتالي:

- أتاح ياسر عرفات للمرأة النقاش بحرية كاملة في مختلف المحافل
- ألهم الرجال والنساء بشعاراته التي لم يملّ تكرارها
- كان يعاملنا (المرأة) بندّية كالرجال، وليس بدونية
- كان لا يقبل الضعف منا أو غيرنا فيكرر من تعِب فليعطينا أولاده
- كنّا نطلب منه الأشياء الصعبة كقرار أو ماليًا فلا يتواني عن تلبيتها
- اللُحمة بين القيادة كانت الهاجس الأول لياسر عرفات، حيث يقبل أن نختلف ونتفق لكن ضمن الإطار الواحد
- في الاجتماع معه يخالطك الجو العاطفي والفكري النضالي

- لطالما خالطنا بحضرة أبو عمار الشعور الاخوي، والشعور الأبوي ورداء المحبة.

لم تنسى سلوى أبو خضرة موقف الوحدوية واللُحمة الذي لم يغادر عينيها حينما تم إعلان الاستقلال عام 1988 بالجزائر وذلك استثمارًا لانتفاضة الحجارة المجيدة في فلسطين لتقول في مقابلتها مع فضائية فلسطين: «كان يومًا بهيجًا، رغم أن الدولة هي بأذهاننا، ونحن بعيدون عن فلسطين. وحينها وقف القائد جورج حبش وأمسك بيد القائد ياسر عرفات ورفعها مع يده قائلًا وهو المعارض: أرجو يا أخ أبو عمار أن تكون على حق، وأنا على باطل وأن نكمل المشوار. ما شكل حقيقة الاختلاف والمحبة والوحدة الوطنية».

الصوت الثوري الفلسطيني العروبي

كانت الأخت سلوى أبو خضرة (هكذا كنا نخاطبها ونخاطب كل القياديين وكل الحركيين بالصفة الوحيدة أخ أو أخت، ومازلنا على ذات المسار) من المقربين من الخالد ياسر عرفات كما الحال من كل قادة الثورة خاصة أبو إياد-صلاح خلف الذي كان مشهورًا بمعارضته «الأخوية» لكثير من مواقف أبو عمار السياسية، وإن كنا نراها أكثر ميلًا لأبي إياد منه إلى أبي عمار، فهي لم تكن إلا حمامة سلام بينهما، كما تبين لنا لاحقًا وبين كل المختلفين في إطار الثورة حتى من الفصائل الأخرى. لقد لعبت الدور الصعب في الزمن الصعب واستطاعت

بذلك أن تحظى بمحبة وتقدير الجميع.

كانت أم محمود صوتًا ثوريًا مقاومًا ووطنيًا عروبيًا معًا فهي من أكدت دومًا على «ضرورة تضافر الجهود، وتحقيق اللحمة العربية الفلسطينية» كمدخل للنصر، كما أكدت على أهمية احترام وتتابع الأجيال ما «يشكل جذوة الحرية والعودة المشتعلة»، و«أنا متفائلة دومًا». ولم يفتها أبدًا التأكيد على أهمية «إبراز النقاط المضيئة بمسيرتنا وتاريخنا رغم قساوة الزمن علينا».

رحلت المرأة الجريئة الأنيقة، والمعلمة الصلبة واللطيفة، المرأة الندّ، المرأة المشرقة، والقائد بالإطار الوطني لتخلّف إرثًا يُحسب لكل المناضلين والمناضلات، والأجيال في فلسطين، فرحمها الله، وإنها لثورة حتى النصر.

عبد الرحيم ملّوح وعوني بطّاش رحلا وبقيا.

عبد الرحيم ملوح وعوني بطاش قائدان فارقانا قبل نهاية هذا العام المستفز عام 2020م، رحمهما الله.

فإن كان عبد الرحيم ملوح القائد التاريخي في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين قد مثّل خطًا فكريا متوازنا ومستنيرا في الجبهة، فإنه جعل من خط الوعي الوحدوي بفكره التقريبي وخاصة في أواخر أيامه حيث عاصرته بالوطن وفي فترة وجوده في اللجنة التنفيذية جعله شعارًا مطبقا.

ملّوح هو الذي طالما كان يردّد وراء جورج حبش مقولته الشهيرة عن ياسر عرفات أنه مَن قد نختلف معه ولكن لا نختلف عليه.

أما الراحل عوني بطاش (أبو محمد) فلقد تواجد سفيرا في الكويت في مرحلة دقيقة من مراحل الثورة الفلسطينية واستطاع بقيادة عضو مركزية فتح ومعتمد الإقليمم حينها سليم الزعنون، وشخصية أبو محمد المتوازنة والمحبّبة وكل قيادة الحركة في الكويت أن يتجاوزوا عقبة الغزو العراقي بأقل الخسائر.

ربما لم تكن مخالطتي الشخصية القريبة مع الراحل

عبد الرحيم ملوح طويلة، وإنما كانت في حقيقتها ضمن عدد من الندوات واللقاءات التي جمعتنا، وفي مطالعاتي لما كتبه بفكر ثوري صلب فترة الاعتقال الصهيوني له، إلا أن فضائل الرجل في السياق الفلسطيني والجبهوي لطالما رددها بمحبة أحد قيادات الجبهة الميدانيين من إصدقائي وهو الاخ ناصر أبو عزيز القيادي السابق في اتحاد الطلاب، الذي كان بالمثل يشابهه ديمقراطية وانفتاحا ووحدوية وحرصا.

مثلت وحدوية ملّوح وحدوية عزّ نظيرها، وهي لدى كثير ممن يفترضون بأنفسهم قادة منبوذة فلا يتحملون كلمة نقد واحدة لآرائهم أو مواقفهم، أو يعتبرون النقد في موضعه سُبة لا لشيء إلا لأن صورة هذا القائد اهتزت!

أما عوني بطاش فكان لي معه تاريخ جميل ومثير لا سيما أننا تواجدنا معاً في المكان والزمان، فهو كان مدير مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في الكويت ثم سفيرا لدولة فلسطين فيها فترة دراستي الجامعية بالهندسة المدنية ثم رئاستي لاتحاد الطلاب فوصولي لعضوية لجنة إقليم فتح.

لقد مثلت السنوات التي جمعتني واخوتي بالطلاب والإقليم والكوادر مع الراحل حالة من الحراك الجميل الوقع، والصراع والحوار المعروف في حركة فتح في إطار ممارسة النقد والنقد الذاتي وتحقيق الإنجاز بكفتي اليدين، وذلك ما كان يحصل بين كوادر التنظيم، وخاصة الطلاب والشباب،

ومكاتب المنظمة –أو السفارات لاحقًا– بما فيها من توترات شد وجذب وعبوس قليل وابتسامات كثيرة، وتسابقات على القيام بالنشاطات والأعمال ودعمها.

صراعاتنا الصغيرة المرتبطة بالسن والتجربة بحقيقتها كانت صراعات على الأدوار والقرارات وحجم دعم النشاطات وتجاذبات اقترنت بالاولويات ورؤية الصورة من حيث تكون أو رؤية الصورة الكاملة وللطلاب دومًا أولوية مختلفة.

في تجربتنا الطلابية الثرية وفي الإقليم بالكويت، ومع أخوة ما زالوا على العهد هناك أو ممن توزعوا عبر العالم، مثلت التجربة كما مثّل كل من سليم الزعنون وعوني بطاش ورفيق قبلاوي (الشهيد أمين سر الإقليمم) استثناءً حقيقيا.

مثّل عوني بطاش رحمه الله استثناء كما قلت، وذلك لأن العلاقة معه كانت تتميز بعوامل ثلاثة هي:

أنها كانت علاقة مرتبطة بالالتزام بقرارات الحركة ممثلة بالإقليمم والمعتمد، وهذه مظلة هامة كانت تحتوي كل التوترات أو الخلافات المحدودة أو التجاذبات التي تقع بين السفير والطلاب.

وثانيا كانت العلاقة محكومة بإيمان طاغي من عوني بطاش كما كان منّا بضرورة خدمة الطلاب والجالية وعبر الأطر المختلفة وإن اختلفت الأولويات في مجال معين عن غيره، مضافًا اليها انعكسات محاور حركة فتح على الطلاب التي

مازالت تحيط بالطلبة حتى اليوم.

أما ثالثا فلا يمكن أن ننكر الاحتضان الدافيء والتعاون الهام والدعم الكبير والأخلاق والقيم الأبوية التي كانت تتمثل بشخصية أبو محمد رحمه الله وهي الشخصية الوفية التي لم تفارقه حتى عندما انتقل إلى مواقع أخرى سفيرا في دول مختلفة.

رحم الله الشهداء جميعا ورحم الله الشهيدين اللذان رحلا عن الدنيا وبقيا فينا، فهما كانا بحق علامات في مسيرة ثورة ممتدة عبر أجيال لن تنطفيء شعلتها ما دام فينا زهرة أو شبل يصرخ باسم فلسطين ويستجيب لدعوة الخالد ياسر عرفات بأنه سيرفع العلم في القدس المحررة، وعلى كامل أرض فلسطين.

عادل عبد الكريم... بيرق حركة فتح

في المرة الأولى التي عملنا فيها على توثيق تاريخ الحركة تشاركت أنا والأخ د. حسين أبو شنب في ذلك عند تزاملنا في عضوية لجنة إقليم الكويت.

كان الاسم يتكرر مع كل لقاء بشكل يثير الانتباه، ففي اللقاءات المتكررة مع سليم الزعنون أبو الأديب معتمد الإقليمم حينها كان الاسم يتردد بإجلال واحترام شديدين، كرجل مهم كان في الخلية الأولى إلى جانب الاثنين الأشهر بتاريخ ثورتنا العملاقة وهما ابو عمار وابو جهاد.

أكملنا مسيرة التوثيق باللقاء مع عدد من أعضاء اللجنة المركزية آنذاك، أي في ثمانينيات القرن العشرين، فلم تكن الصورة لتكتمل دون المرور عليه سواء من فم العملاق خالد الحسن أو خطيب الثورة صلاح خلف الذي اعترف بأسبقيته حتى انه كان أول من استقبله من على سلم الطائرة حين نزوله إلى الكويت في أوائل الستينيات.

كان الاسم يتكرر مع الخلية الأولى بالكويت عام 1957 أو 1958 حتى العام 1968 رغم فترة الصراع البين بين أول تيارين في حركة فتح ما بين الانطلاقتين الأولى عام 1965

والثانية بعد النكسة عام 1967 ولقاء الحركة مع الرئيس الراحل جمال عبدالناصر ثم معركة الكرامة وما حصل بينهما من أحداث جسام.

تشاطرت مع الدكتور حسين أبو شنب الرأي بضرورة اللقاء بالرجل، وكان حينها في الكويت وكان من أمر الحدث الجلل أن وقع، وقام الأخ ابو حسام بلقائه لتحديد موعد للتسجيل وكما هي عادته الأثيرة... لم ينبس الرجل ببنت شفة، فلم يكن من فائدة معلوماتية للقائنا المشترك معه، لقد تحصن بالصمت والحب.

الأخ عادل عبد الكريم احد أهم الرموز التي أسهمت في نشأة حركة فتح، وهي الحركة التي جعل منها ياسر عرفات حقيقة واقعة ذات قدمين، هو وإخوانه، إلا انه يُنسب لعادل عبد الكريم عفة الخلق والميل للإعداد المسبق والجيد صنو التريث والرغبة بالنجاح مربوطة بالامكانيات وتوفير السبل والوسائل، ما كان مخالفا لطريقة تفكير التيار الغالب حينها الذي قاده ياسر عرفات وخليل الوزير وخالد الحسن ومحمود عباس وصلاح خلف وأبو الهول وأبو صبري صيدم وأبو ماهر غنيم وأبو الأديب الزعنون والعديد من المؤسسين.

كنت أتمنى لقاء هذا الرجل المؤسس، هذا الرجل العفيف، الذي حين كان الاختلاف الشهير بشأن الانطلاقة لحركة فتح، وعندما لم يفز تياره المتريث أو كما أسميناه بالحركة (تيار

العقلاء) لم ينزعج ولم ينشق أو يتقافز كالبهلوان بالهواء.

لقد فاز تيار المجانين بقيادة ياسر عرفات وأبو جهاد وأبو مازن وأبو ماهر واخوانهم على تيار العقلاء بقيادة عادل عبد الكريم ومجموعته، فسارت كل منهما إلى قدرها بالتراضي.

استطاع ياسر عرفات أن يضع للحركة خطا عمليا (مجنونا) ما زال يميزها حتى الآن، وفيه من كم المبادرات والانحياز للعمل الكثير مقدما على المحاذير، والتنظيرات التي اشتهرت بها الفصائل الأخرى ما جعل أبناء حركة فتح يمثلون مدرسة تشتعل بالأفكار الابداعية ومركبات الابتكار، وبالنفس النضالي الذي لا يهدأ فترة إلا ليعود ثانية أكثر اشتعالا وأكبر مضاء.

دعني أقول أن تيار العقلاء في حركة فتح لم ينقطع حبله السري مع انسحاب عادل عبد الكريم اللطيف، فكان خالد الحسن وهاني الحسن وكمال عدوان وماجد أبو شرار وصخر حبش وصخر بسيسو وعثمان أبو غربية ما نتمنى ونسعى أن نكون على خطاه.

لذلك ورغم خروج عادل عبد الكريم الهادئ والمتزن من الحركة إلا أن طريقة التفكير ونهج الفعل الذي يؤمن بالتخطيط والتفكير وإعداد العدة الفكرية والعملية ظل موجودا في حالة توازن وأحيانا شد وجذب داخل فتح التي شرفت بكل هؤلاء كما شرفت بتعددية مناهج التفكير ومدارس النضال.

عادل عبد الكريم لم يكن رقما يسهل المرور عليه فلقد

كان يملك عقلا رياضيا مبهرا، ويملك احترام إخوانه وعلى رأسهم الذي كان في فوهة المدفع بالاختلاف أي أبو عمار، وكان لشخصيته المتواضعة أن امتلك المحبة من زملائه حتى إبان الاختلاف الكبير وحتى اليوم الذي نودعه فيه بكل ود ومحبة جعلت من الرئيس أبو مازن ينعاه بكل أكاليل الغار، فهذه هي فتح الوفاء.

رجحت كفة المجانين فقاموا بالانطلاقة ليُسمعوا بالدوي الصغير في نفق عيلبون أسماع الأمة أن هناك شعب ينهد نحو التحرر، وأصبح الدوي الخفيف صاخبا بعد الهزيمة العربية الثانية النكراء في العام 1967 لتقوم حركة فتح وتثبت وكما هي عادتها حتى اليوم قدرتها على الامساك بزمام القيادة وتصبح هي أم الثورة وملك لكل الشعب إلا من أبى! فهي أم الولد وصانعة الكيانية والوحدة الوطنية.

عادل عبد الكريم أسهم في الأدبيات الحركية الأولى، وكان في الصف القيادي بمرحلة معقدة، إذ تجتمع مجموعة من الشباب في ظل أمة عربية منتكسة لتقول لأكبر استعمار بالتاريخ الحديث: لا، هذه فلسطيننا ونحن هنا.

ويذكر في أدبيات الحركة انه بعد معركة الكرامة قدم عادل عبد الكريم من الكويت وزار اخوانه بالأردن، واطمأن على أن الفكرة أصبحت واقعا، وبأيدي أمينة، لكنه قدر ان لا قدرة له على الاستمرار فودع اخوانه وظل علي ولائه للفكرة

وحسن الذكريات معهم بلا تعريض أو تشتيم أو تشويه كما نرى اليوم حينما يختلف اثنان أو تياران أو فصيلان.

من أمثال ياسر عرفات وأبو جهاد وخالد الحسن وعادل عبد الكريم وأبو مازن وأبو اياد وأبو ماهر وأبو الأديب تعلمنا ان نناقش ولا نهاب، وتعلمنا فن الحوار، وتعلمنا الديمقراطية حوار والتزام، نقد وانتماء، وتعلمنا مفهوم الأنفاس المحترقة في سبيل القضية بمعنى التضحية بالذات مقابل المجموع.

لم يكن لمثل هذه العقلية أن تقبل (عقلية الوظيفة) التي هي اليوم على تضاد كامل مع (عقلية النضالية والثورية) لأي شخص أو كادر حركي بغض النظر عن موقعه المهني أو الحركي.

عادل عبد الكريم بيرق حركة فتح الناصع البياض، الذي صرفنا وقتا كبيرا في محاولة أن نجعله يدلو بدلوه في سبب الابتعاد أو حقيقة الاختلاف ولم نفلح لتحاشيه الخوض فيما يعكر أو يسيء أو يفهم خطأ حسب ما رأى لم يكن ليغيب عن الكتاب الأهم الذي أعده اللواء محمود الناطور بمشاركتنا وعشرات الإخوة تحت عنوان (حركة فتح من الانطلاقة إلى الاغتيالات) فهو علامة بارزة ونموذج نضالي وفكر علمي لا يُستهان به، ورغم ابتعاده من زمن مضى إلا أن سيرته العطرة واسبقيته وموقفه الرجولي ظل مضرب المثل لدينا حتي وفاته رحمه الله وأدخله فسيح جنانه.

شهادة مفاوض، للأخ أبو علاء قريع

الأخ أبو علاء أحمد قريع (مواليد القدس عام 1937م) المفاوض الفلسطيني العريق، وأحد قادة ومؤسسي حركة التحرير الوطني الفلسطيني-فتح الكبار، وهو الرجل الذي تقلد المناصب العديدة في حركة فتح، إلى أن أصبح عضوا في لجنتها المركزية، وكان من قيادة المنظمة، وقيادات السلطة الوطنية الفلسطينية حيث تسلم رئاسة المجلس التشريعي، ثم رئاسة الوزراء في ظرف صعب وحالك.

مع الأخ أبو علاء وحين استلامه لمهمة مفوض التعبئة والتنظيم بعد الأخ هاني الحسن عاشرناه فوجدنا فيه الأخ اللطيف الهاديء، وحَسَن الاستماع الذي يولي الاهتمام اللازم لمحدّثه، ويطرق صلب الموضوع. كما وجدنا منه شجاعة مشهودة فله بالحق شِدّة مطلوبة حيث وجب فلم يكن له إلا أن ينحاز له، وهو ما وقع بيني وأحد الأخوة الكرام الذي تجاوز مهمته وحاول بأسلوبه العشوائي والفوضوي أن يستولي على ما كنت أرأسه أي مهمة الاعداد والتدريب للكوادر.

لقد صرخ الأخ أبو علاء بوجهه مؤنبًا وموضحًا حدود مهمته، فقال الآخر: إذن فأنا استقيل، فرد عليه أبو علاء: افعل، وكان ذلك.

في فترة طويلة من سيرة الأخ أبو علاء النضالية قاد

المفاوضات مع الرئيس الشهيد ياسر عرفات ثم مع الرئيس محمود عباس ثم تسلم مسؤولية ملف القدس في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، فأمين سر المجلس الاستشاري لحركة فتح.

قدم الأخ أبو علاء قريع عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية (آنذاك-فترة الندوة) مادة هامة عن المفاوضات في ندوته الحاشدة أمام مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية في القاهرة عام 2010 تحت عنوان (شهادة مفاوض، رؤية شاهد عيان)، قرأناها واستفدنا منها ونشرناها.

أنها المادة التي تحصلنا على نصّها الأصلي من مكتب الأخ أبو علاء في القدس يتحدث فيها عن مسيرة المفاوضات -كشاهد على أحداث الزمن- ضمن مراحل المفاوضات المختلفة منذ العام 1993-2007م، ومع رؤساء الوزارات الاسرائيلية المتعاقبة.

موضحا ومحددا ملامح واستراتيجية التفاوض الفلسطينية، وراسمًا صورة لأفكار وتوجهات الطرف الآخر بشكل واضح وذو دلالة من اليمين إلى اليسار المفترض، وهي الأفكار التي لم تخرج جميعها عن الصراحة الصهيونية الاستعمارية التوسعية الفجّة، أو عن المراوغة والتهرب من الالتزامات، ومركّزا على القضية عامة وعلى القدس والأخطار

المحدقة بها. (سطّر أبو علاء أكثر من خمسة كتب عن المفاوضات).

ما نود الإشارة عليه منذ البداية هو إن المفاوض الفلسطيني كان يعتبر المفاوضات أداة من أدوات النضال اضافة إلى كافة الأدوات الاخرى الميدانية والسياسية، ويؤكد أن طريقة إدارة المفاوضات وخطوطها العامة هي التي يجب أن تحدد بدقة، مشيرا للشخصية الإسرائيلية بعمومية الانتماء للحلم الصهيوني الذي يريد ويسعى للسيطرة على كل فلسطين وعبر المستعمرات أساسًا وكافة الانتهاكات، مستخدما كل الذرائع لتحقيق هذا الهدف إما بالقوة لوحدها أو مضيفا لها المراوغة أو استغلال الحفر بالزمن لصالحه واختراق الجسد العربي أو الدولي. (توفي الاخ الكريم أبو علاء قريع عام 2023م)

زمن بهاء البخاري[6]

لربما كان الزمن يفرض نفسه بشكل جعل من الرسم هو الرابط في أكثر من حقبة، ولربما كان الورق عبر الزمن يحتفظ بخاصية القدرة على التكثيف للّحظة... إلتقيته في البداية على الورق... حيث رسم الزمن الصغير في شخصية لطيفة للأطفال كان اسمها سعد.

في المدرسة الابتدائية وفي مقصف المدرسة لاحظت وجود مجلة جديدة مخصصة للأطفال تتزين برسوم ملونة ولطيفة جدا وجذابة... كان اسمها سعد فاشتريتها وكان الاسم والشعار وقصص أخرى قد مهرت بتوقيعه الجميل.

لم تخلُ أعداد من مجلات الثورة الفلسطينية آنذاك من رسوماته ومساهماته الثائرة أبدا، وهكذا كانت كثير من ملصقات وشعارات وبطاقات المناسبات المختلفة التي حفل بها تاريخ الثورة الفلسطينية الماجد، وتاريخ حركة فتح منذ انطلاقتها عام 1965.

بهاء البخاري يحتفظ بريشته الصاخبة تلك التي لا تكف عن الصرير، ولا تعجز عن الكلام جنبا إلى جنب مع قلبه وشخصيته المتمردة رغم رقته ودقة ألوانه وهدوئه البتار، وهو في شخصيته المحيّرة يعبر عن المارد ذو الاضاءات الناعمة

6- كتب المقال ونشر في 2018/1/19.

والروح اللطيفة.

عندما يرسم بهاء كان يخترق الزمن بل الأزمان التي عاشها أو يعيشها أو نعيشها بانحناء الريشة وظلال الألوان ونوع الحبر وسياق الحدث الذي يكتب فيه قصيدته الناطقة المتحركة.

الخطوط الحادة التي رسم بها بهاء الفلسطيني الثائر في مجلات الثورة لم تخلُ من انحناءات ذهبية عملت على أن تضفي الليونة الرحبة والإصباح والأمل على قسمات الفدائي والمقاوم والمجاهد ذو السّحنة السمراء والقسمات القاسية.

في محطاته التي أعرفها بين الكويت وتونس وفلسطين (رغم أنه بدا مبكرا في دمشق) تابعته على الورق وبين دروب الزمن وحاورته في بعض منها، وما كانت شخصية الطفل سعد في الكويت ثم شخصية أبو عرب وأبو العبد وغيرهم من الشخصيات إلا تعبيرات حقيقية عن شخصية بطل كمن في قلبه، ونار ابداع خرجت لتعبر عن حمم ثائرة.

لا زلت أذكر رسوماته في الصحافة الكويتية، ورسمه الذي قدمه لنا حين كنت رئيسا لاتحاد الطلاب في الكويت إذ أبرز قوات الـ17 حينها التي قامت بسلسلة من العلميات الجريئة ضد العدو، وكان لهذا الرسم المعبر أن فتح مجالا أمامي وأمامه فمثل فرصة اللقاء مع الأخ الكبير محمود الناطور (أبو الطيب) قائد قوات الـ 17 آنذاك والذي احتفظنا بعلاقتنا المميزة به

حتى اليوم.

كما لا يغيب عن الذاكرة رسمه اللطيف المعبر لغلاف كتاب خالد الحسن مفكر الثورة الكبير المعنون (حمار وطني) كما لا يغيب عن الخاطر تلك المعارض القوية التي أقامها في جامعة الكويت في الثمانينيات من القرن العشرين، وحضرها ضمن من حضرها حينها خالد الذكر أول الرصاص أول الحجارة خليل الوزير أبو جهاد.

بهاء البخاري الذي واكبت ابداعاته ورسوماته أزمانا وأزمان، منذ المدرسة الابتدائية حتى تسلمت اتحاد الطلاب في الجامعة وما تلاها، لم انقطع عن متابعة تجلياته في الرسم التشكيلي أيضا، ورسوماته الهندسية عن آثار القدس العربية الإسلامية، إذ كان له جمالية أن يقدم فنا راقيا إلى جانب التشخيص (الكاريكاتور) فبرز ثائرا فلسطينيا وفتحويا في لوحاته الرائعة لعدد من شهداء اللجنة المركزية للحركة، ولبعض قادتها.

أحب الورق والرسم عليه، ولم يُهمل تقنية الزمان الجديد والرسم على الحاسوب فجمع بين رائحة الورق والحبر والألوان ومتعة التقانة الحديثة.

من شخصية (الطفل) في مجلة سعد إلى أبو عرب إلى شخصية أبو العبد تنقلت الريشة المقاوِمة عبر الصحف الكويتية إلى الصحافة الفلسطينية بين صحيفة القدس ثم

مؤسسة الإذاعة والمرناة (التلفزة) الفلسطينية فجريدة الأيام حيث كان يتحفنا يوميا بالكثير ذو الدلالة، وكان يردد بلا انقطاع إن لم تروا رسوماتي في اليوم التالي فإما أن الرقابة منعتها أو أنني مت... وها هو قد ألقى ريشته جانبا ورحل.

بهاء البخاري المناضل وعضو اتحاد الفنانين الفلسطينيين ومؤسسات عالمية أخرى المبادر دوما كان له موقع سياسي هام إضافة لإطاره الثقافي والفني فأحبه ياسر عرفات وخالد الحسن وصلاح خلف وأبو جهاد وأبو ماهر غنيم وصخر حبش ومحمود الناطور وحسن المطري وقادة الثورة جميعا، وكان ضمن فريق مجلة (الصخرة) التي أصدرتها حركة فتح بالكويت في مرحلة حرجة من مراحلها إثر الانشقاق المدعوم سورياً عام 1983، وشكل مع الصحفيين والكتاب والسياسيين الحركيين فريقا –كنت واحدا منه– استطاع أن يلتقط اللحظة ويحصّن الفكر الوطني الفتحوي ضد اختراقات الإقليم العابث.

كان في رسمه الأخير قبل أن يسلم الروح لبارئها قد خاطب أهل الكهف «يقصد الأمة» أن يفيقوا على انتفاضة أو #غضبة_القدس قائلا:(هل تسمعني)، وكان قد قدم هديته لحركة فتح بمناسبة انطلاقتها للعام 2015م القادمة شعار العاصفة المحلّق بجناحين كما طلبت منه رحمه الله، فرسمه وكأنه يتوسم للنسر الفلسطيني ممثلا بشعار العاصفة أن يطير بجناحيه إلى العلي فيحقق النصر القادم بإذن الله.

بهاء البخاري الفنان والمبدع العربي والفلسطيني والعالمي المتعبد في محراب الثقافة والفن والأخلاق الراقية كان يسعى أن يسجل بريشته زمن العشق والنماء، زمن الإرادة بين الأرض الحانية واتساع السماء، زمن النضال والفداء، زمن القدس التي عاشها والإباء... وأن كان قدر رحل فإنه اقتطع منا مُضغة من القلب لربما لا نحتمل الصمود بعدها.

الصديق محمد رجب مغاري!

ضحِكتُه عالية بل وعالية جدًا إلى حد القهقهة، فمن هذا الضحوك الصارخ الباذخ حين يوزّع كمّ الفرح الهائل والسعادة الغامرة عبر عبير ضحكاته على الدنيا؟

ومن هو هذا الفاسق الرقيع الآبق المقهقِه! الذي لا يلجِم نفسه عن القهقهة والضحك المرذول!؟ بكلام من كَرِه الضحك لذاته وكره الآخرين تحت إدعاء الرصانة أو التشدد والتزمت المقيت والمخالفة والإقصاء لغيرهم ممن عرفناهم آنذاك.

كانت ضحكاتُه، لا تتوقف وهو يحاور ويناور ويتكلم بثقة، واضعًا الحجة في عقب اختها، مع كثير من حركات يديه الطويلتين، ولم ينكمش يومًا ليعلن تغضّن الجبين أو انحسار الفرح وانسداد الشرايين.

تقدمتُ بخطىً سريعة إلى مطعم الجامعة علّني أعرف مصدر تساؤلاتي الداخلية والحيرة، ولم يكن من الصعب الاستدلال على الشخص الضحوك، فهو كما خِلته جالسٌ كالشيخ المبجّل بين مريديه حيث يجتمع من حوله فريق ضحوك من الطالبات والطلبة ممن استطابوا جلسته اللطيفة المضامين والحشايا، وانفضوا عن جلسات الذين حرمّوا الضحك والابتسامات الذين غادروا المكان كلّه.

محمد رجب مغاري الذي دخل الجامعة بعدي بعام واحد، كان من أوائل طلبة الثانوية العامة بالكويت، ولم أعرف عنه بعد اللقاء الأول ولسنوات طويلة إلا اسمه الثنائي، وما كان لــ(مغاري) أن يُعرف كلقب عائلته إلا ضمن قصة فهمت بعدها أنه من رفح العظيمة الرابضة على الحدود مع مصر أم الدنيا.

طويلٌ بقامة ممشوقة، سريع الخطى، دافق الأُنس، أشقر الشعر! وهل لدينا في فلسطين أمثال هؤلاء!؟ أم هم من سلالات الفرنجة؟! كما قد داخلني الهاجس؟ أم ماذا؟ ما الأمر؟ لاكتشف بعد سنين طويلة أنه كما أمثاله الكثير في فلسطين.

تعجبتُ حينها من الأشياء الثلاثة أي طوله الفارع وضحكاته اللذيذة وشقار شعر رأسه، بل ورموش عينيه واللحية والحاجبين! وما كان للعجب أن يتوقف بعد أن تقدمتُ للتعرف عليه. فإذ به يعرفني مسبقًا من السمع بالجامعة، وها هو ينطقُ بما لم يعد لي حاجة معه لاقناعه بجذبه للمربع الذي كنت فيه آنذاك ومازلت فيه إلى اليوم، أي مربع أولوية فلسطين.

محمد رجب مغاري الذي صاحبنا سنين جميلة أثيرة في جامعة الكويت كان مدرسةً في العشق والمحبة والقبول لم يكن لها مثيل إلا مع صنوه ابن غزة الجميل اللطيف كثير الشمائل حلو الصوت رشيق الكلمات محمد عبد المعطي عبيدة، وهو هذا الثاني القادم من أسرة أصيلة جليلة من غزة كان لحسن حظي

أن والدي ووالده أصدقاء وزملاء منذ ما قبل دخولي الجامعة فحبستُ نفسي في حياض لطفه وفرط محبته فأقمت وتربّعت.

محمد رجب وأنا، وثلّة، ومحمد عبد المعطي وأنا وأسماء أخرى جميلة لا أدري إن ذكرت أحدهم فقد أنسى غيرهم من أحباء عمري المرهق اليوم بالكثير من العرق والدموع والزفرات والكوابيس والعثرات والنكبات والصراعات واضطراب النفس المحلقة بين البينين.

إنهم ومن لم يترجّل منهم يواصلون المسيرة حتى اليوم في شتى أنحاء العالم بعد خروج الكَثرة من الكويت بعد الغزو، كانوا ومازالوا أصدقاءَ قيامتي الأولى وزملاء نهوضي العقلي، ومدرسة تكويني الاجتماعي الفاعل، وبلسم جراحي التي باتت تتتوسع عبر الزمن، ودفء روحي التعِبة، وعدة أنفاسي القصيرة القليلة المتبقية اليوم.

إنهم الذين لا يفارقون خلايا جسدي وجوانحي حتى اليوم حتى أنني بتّ أضم جناحيّ كل يوم وأفتش عنهم واحدًا واحدًا كي لا أفقدهم، كما فقدنا منذ سنوات طوال محمد عبد المعطي في شرخ شبابه القصير تاركًا أبناءً لقوا العنت والشدة، لولا يد الأصدقاء الذين شملوهم بالوفاء وغامر المحبة والنسب الجميل.

فجعتُ بالأمس فقط بنبأ وفاة محمد رجب مغاري، واحترتُ في فهم كُنه مشاعري! هي حزن مؤكد نعم، ولكنني لم أفهم طبيعة هذا الحزن أكان على محمد لذاته، أم لذكريات

السنين الجميلة اللذيذة اللطيفة الثقيلة والخفيفة في آن... أم غير ذلك، كما لم أفهم كيف أعبّر عن ذلك؟

وجدته في كل مهرجان انطلاقة أقمناه، وفي كل مناظرة كنت أنا أتقدم للحديث فيها، وكان هو يسبقني فيها، وبرز في اللقاءات والنقاشات التي لا تحصى، وفي جمعات وفعاليات مازالت تُقرع برأسي كصوت أجراس الكنائس المشتعلة حبًا وإصرارًا ودعوات بالعطاء والصلاة والبشارة والبركات!

كان رغم طوله الملحوظ وثقل وزنه معتدلًا، لكنه يسير متبخترًا بالجامعة بين الأقران، فيلفتُ النظر فما بالك حين يتكلم بصوته المجلجل!؟

محمد رجب له أن يزهو ويختال علينا كلنا، فمن امتلك عنفوان كيانه المدجج برصيد الجواد الأصيل، وصوته القادم من وراء الرعود، ومنطق حجته البالغة كالسيف البتار واستقرار رأيه مع غامر محبة -لفلسطين وكل أقرانه- أشعت من كامل جسده لا مناص سيتبختر، ولا يتكبر. إذ لكل من اقترب منه ولو قليلًا يفتضح أمره، فلا زهوٌ ولا نزق ولا تكبّر بل شخصية لطيفة بسيطة تحتضنك وإن خالفتها ولا تفتك بك حين تختلف معها باتهامات بشعة مرذولة كانت ومازالت من قاموس أولئك الذين كرهوا غيرهم ورموهم بشتى الخِصال السيئة لمجرد الاختلاف؟! فما بالك إن جاء هذ ا الاختلاف على قاعدة أنه المؤمن الوحيد وجماعته على هذه الأرض وغيره

محض هباء!

تعلمتُ من الأصدقاء والزملاء تلك الفترة الخصيبة الكثير، وإن مازلت أتعلم حتى اليوم من أخوة على قلتهم مبدعين جدد.

تعلمتُ منهم آنذاك في جامعة الكويت كيف أسير بخطوات ثابتة، فالمسار مليء بالحفر والأشواك وثقل الندوب وعِظَم القضايا، وتعلمتُ منهم -ومن أساتذة كبار خارجهم- الحوار والتفكير والبناء والنقاش والاستيعاب ولعمري فإن هذا كان سمة من سِمات كلّ من لازمتهم في كلية الهندسة التي دخلتها، وبالكليات الأخرى من أبناء فلسطين الكبار، الكبار الذين ما برحوا يتحدّون سوء منقلب الرافضين لأولوية فلسطين، الصامدين في وجه رياح الاتهامات القديمة المتجددة اليوم.

محمد رجب مغاري الذي درَسَ الهندسة في جامعة الكويت معنا، ثم انتقل إلى أمريكا مبكّرا وأقام مصنعه وعمله المشهود هناك، لم يكن ليجابه أحدًا بسيف الاتهام الفتاك وما كان حين يدفع الآخرين أمامه إلا كنِسمة هواء عليلة، تهبّ على المقابل فتخطفُ منه بعض روحه، وتسلبه صخب واضطراب عقله لتضعه في بوتقة إرداته هو طائع مختار لأن محمد أتقن فن العطاء ومعنى القبول في مدرسة العشق الأبدية.

وحين تجنح الطيور إلى البحيرات الرقراقة لترتوي كان محمد يقيم هناك ينتظرك أن تشرب! فيمدُ لك بوعاءٍ أنت من تختار حجمه، لتشرب كيفما رغبت فترتوي ولو لفترة من

الزمان، أو طول الزمان.

محمد رجب الذي توقف قلبه الدافيء فجأة عن العمل من ضخامة وثقل ما رآه يحلّ في قطاعه الحبيب من فلسطين في غزة وخانيونس ورفح، لم يحتمل حجم الألم والفقد اليومي الفظيع، وترك لنا حديقته الزاهرة الضحوكة التي زرعها طوال عمره بالورود فأينعت ابتسامات وضحكات وتأملات ونسمات وذكريات قد تطول معنا أو تقصر، فألقى عصا الترحال وصعد إلى السماء بعد أن نزل عن مطيّته الفانية وترجّل.

لقد أبكيتني يا محمد، كثيرًا، كثيرًا جدًا، كما لم تجفّ الدموع بعد على سابقك بالرحيل محمد عبد المعطي، فأنا –وأحسب أيضًا الاخوة والاخوات الأقران– ما زلت من أيام وفاة محمد عبد المعطي افتقد ما افتقده فيك اليوم من بهجة ولطافة وكثير من حفنات الحب الصافي التي تبللَني وتحفّ بي وتغطيني حتى تاريخه لك عظيم الرحمة من الله عز وجلّ، ولنا حُسن العزاء.

شفيق الغبرا ورحيل السحر!

شفيق الغبرا من القامات النضالية، والعلمية في ذات الوقت، ولمن لا يعرفه بامكانه الرجوع لقراءة مقالاته العديدة، والاطلاع على مجموعة من كتبه الرائعة عن المسار النضالي من جهة، وعن تلك التي تعرض فيها للعلاقة الفلسطينية الكويتية التي عانت من التذبذب بين القوة والضعف لظروف كثيرة أسقطت عليها وغالبا لم تأتي من ذاتها.

د. شفيق الغبرا لمن يريد أن يقرأ في سير المناضلين الأفذاذ الرجوع لكتابه الثمين «حياة غير آمنة-جيل الأحلام والاخفاقات» عن تجربته مع الثورة الفلسطينية في لبنان، ليكتشف مدى الحساسية والفعالية التي يتمتع بها المناضلون، وهو كان أحدهم مع سلسلة من الكويتيين والعرب الآخرين الذين قدموا أرواحهم وجهدهم ووقتهم ومالهم لفلسطين لا يتوقعون حمدًا ولا شكورًا.

لا أدري ما فعلته الكتيبة الطلابية التابعة لحركة فتح في الناس إلى هذه الدرجة! هل رمت عليهم تعاويذ السحر، أم فعلت بهم الأعاجيب، أم ما الأمر حقًا؟

في ظني أنها شكلت منهم عجينة أخلاقية مختلفة كليًا ومتميزة عن كثير من قطاعات الثورة الأخرى! وهو ما تحسّه وتلمحه عندما تجتمع مع الأخ محمود العالول أبو جهاد نائب

رئيس الحركة حاليًا- من ذات الكتيبة سابقًا والتي مازال منها أيضًا ممن نعرفهم في داخل فلسطين أخونا الجميل محمد قاروط أبو رحمه.

يراودك إحساس بالطلاوة والجمال لا يقاوم أيضًا عندما تقرأ ما خطّته يد الراحل الكويتي-الفلسطيني الشهيد شفيق الغبرا، أو معين الطاهر (تبغ وزيتون-حكايات وصور من زمن مقاوم)، أو فتحي البس (انثيال الذاكرة... هذا ما حصل)، وأيضا أبرز عقول الكتيبة منير شفيق (من جمر إلى جمر-صفحات من ذكريات منير شفيق)، أو كتابات د. سعود المولى المناضل اللبناني الشرس، وفي تجربة المرحوم د. محجوب عمر المناضل المصري في الكتيبة، أو السيد هاني فحص المعمم اللبناني والمناضل الراحل، وفي ما كُتِب عن تجربة الشهيد علي أبو طوق والثلاثي الشهيد (مروان كيالي وباسم التميمي ومحمد بحيص)...، (أنظر كتاب المبدع مهند الأخرس المعنون الجرمق)، وقد تجد لدى عباس «الأقاليم» والدكتور وجيه «الغربي» ما يشبه ذلك أيضًا، (أنظر كتاب أسماء أبو عياش المعنون: فدائي عتيق)، وربما آخرين ممن لم أقرأ لهم، عن الثورة، وعن ذات الجماعة المميزة.

رغم أن الجماعة أي الكتيبة الطلابية (أو كتيبة الجرمق التي كان قائدها الأول سعد أو عبد القادر جرادات) قد تفرقت بين أصقاع الأرض، وربما تفرقت عن المنبع الفكري الذي جمعها

إلا أنها بدت جماعة آنذاك -فترة الوجود الثوري الفلسطيني في لبنان- قفزت فوق الخلافات وكأنها تجمع فكرة فتح الأصلية في ينبوع نهر عمل متدفق نأى بنفسه عن الصراعات السياسية التي كانت دائرة في بوتقة القيادة وانخرطت في معمعان الفعل الثوري الذي جعل من التجربة مصقلًا لهم، وكأنه تم إعادة قولبة أرواحهم وقيمهم فناموا بين رحيق الآمال وعاشوا احلام العودة والنصر.

ورغم أفول الكثير مما تمنوه وتشتت الجمع بين التيارات الفكرية المختلفة، إلا أن القيم والاخلاق والقرب والمحبة والحنين والذكرى العطرة رغم كبر الالم، وانحباس الأحلام، وربما بعض السحر، ظلت ملازمة لهم حتى اليوم.

كنت انتظر قدومه بشوق لمعرض الكتاب الأخير الذي أقيم في فلسطين، ولكنه نظرًا لعقبات الاحتلال المعتادة لم يحضر، وكان قد فاتني لقاؤه في السنة السابقة لا سيما والاحتفاء بكتابه الهام «النكبة ونشوء الشتات الفلسطيني في الكويت». وأظنه ملّ الانتظار فقفز إلى نعيم ما يريد.

د. شفيق الغبرا الكويتي الفلسطيني الحيفاوي الأصيل شخصية تحبها عندما تراها ومن الوهلة الأولى لأنه يأسرك بدماثة خلقه، وبلكنته ومحياه الجميل وابتسامته الودودة وبتواضعه الجم، ولك أن ترى فيه رجل الاعتزاز بالوطن العربي من المحيط إلى الخليج الذي جعل من فلسطين معبرًا

إلى الكويت ومن الكويت معبرًا إلى فلسطين فعبّر خير تعبير عن الوحدة في الذات والتطبيق وحقيقة الإيمان بل والمصير المحتم.

رحم الله شفيق الغبرا. 2021/9/5م.

صائب.. نصار الحق

عندما تنظر إليه تشعر بالسعادة لأن ابتسامته مطلقة لا تستثني أحدا، حتى في أحلك الظروف كان يستعين على المحن والرزايا بالابتسامة تشع من وجهه وعينيه، وحينما كان يحتاج الموقف لكثير من الجدية، أو الشدة كان صوته الجهوري يشكل غلاف الحنان المختبيء بين جوانحه والمعبر عن إرادة الضبط التي يسعى لفرضها عند من لا يفهم سمو التواصل في ظل حراب يجب أن تظل متآلفة، ونصال ذات هدف واحد.

صائب نصار عين الصقر استودعنا وترجّل، ترك الكثير من الآثار في العقول والقلوب لأن المدرب المتمرس كان يتقن فنا لا يعرفه أو يدركه الكثير وهو فن التحفيز وفن إطلاق الطاقات وفن التأثير في الآخرين حتى تصبح الروح الراكدة شعلة من نار لا رماد لها.

صائب نصار عرفته وأنا شبل من أشباله، وعرفته بعد 20 عاما زميلا في ذات مكان العمل حيث التوجيه السياسي والوطني في فلسطين، وما بينهما طريق طويل التقينا خلاله في مراحل وفي مواقف كثيرة كان الرجل يطير فوق الثرى صقرا يرسم بيديه وقلبه الكبير عنفوان اللحظات التي لم يستغني عنها وقاسم الجميع فيها، قاسم الأشبال وكوادر التنظيم والناس بيته كما قاسمهم روحا وثابة لا تهدأ ولا تنام.

في مرحلة الأشبال كان صائب نصار أبا حنونا يعلّم، كما كان قائدا صارما وصقرا حاسما حين انتصار الفوضى وافتقاد النظام، وربما كانت شدته تلك هي المحفز للتغيير لمن ظن الفوضى مدخلا للتفلت من الالتزام في ظل ثورة عاشها في كل المفاصل وتعذب في سبيلها في مختلف المواقع حيث سجن وعذب، وعبر بصموده عن حقيقة الثوار.

في أحد المعسكرات في محيط دمشق عام 1975م حيث كنت شبلا وكان أبو الوليد أحد أعضاء القيادة العليا لمؤسسة الأشبال التي كان نشيدها (كل شبل، كل زهرة، في سماء الفتح ثورة، وستبقى مستمرة ثورتي رمز العطاء) كان ينسج خيوط الوطن في سماء المعسكر، وكان يرسم فرحة القادم رغم عمق الجرح الفلسطيني، وكان بإيمانه بالأطفال والطلاب والجيل الشاب يؤسس لمنظمة التحرير الفلسطينية والسلطة الوطنية التي احتضنت الآلاف من أشباله.

في ذاك المعسكر كان النظام والانضباط واضحا في النوم والصحو والبرنامج التدريبي والخروج والدخول وعدم التدخين والحفاظ على النظافة، وكان الحب والحزم يسيران معا جنبا إلى جنب من قبل قيادة المعسكر، خالف أحد الأشبال المزعجين نظام المعسكر بتكرار التدخين الممنوع في المعسكر، فلم تفت هذه الحادثة على صائب نصار وقرر أن يحفر النظام في عقول الجميع فقام وقيادة المعسكر بعمل (طابور إزعاج)

ليلي للجميع وأجلسوهم وهم نصف نيام ليروا عقاب المدخن بعد منتصف الليل، وفعلا هأنذا أذكر الحادثة ولا أدخن.

عندما استلم صائب نصار تنظيم الطلاب في الكويت كنت طالبا في الثانوية، ومن خلال جلساته الحركية تفتحت عيني على نظام هيكلي وفكري وأخلاقي جديد كانت فتح بوتقته، إلى أن انتقل لموقع آخر هام، وحللنا كطلاب محله في قيادة أنفسنا وظلت العلاقة متواصلة لأن أبو الوليد المضياف الكريم لا يقطع ولا يبتر، وسمته الانفتاح والتواصل فبيته -كما قلت- شأن قلبه الكبير مساحة مفتوحة، دوما مضاءة بزيت النضال وحكايا الثورة التي لا تخبو.

في الجزائر في أحد مخيمات الأشبال عام 1986 التقينا معا مدرب لمدرب هذه المرة، وتزاملنا في تجربة استفدنا فيها منه حسن إدارة الفعل، وقدرة التحريك للنوايا في نطاقات الفعل المفضي للانجاز.

لقد بدا لي حينها بركان عمل يلقي بحممه في كافة الاتجاهات وشاركته في ذلك عائشة رفيقة دربه المقدامة كصخور اللافا الثائرة أبدا، التي لا تهدأ إلا بعد تحقيق أهدافها، هل قُدَّ صائب من جرانيت؟! أم أنه امتلك الإيمان الذي لا يتزعزع بالله وفلسطين والأمل الكبير بالنصر؟! لقد كان جامعا للصلابة والإيمان ومعهما مسرب التوصيل منه للآخرين.

فوق التل، وتحت التل مرورا بكثير من الصعوبات وبين

الأشواك سار صائب كما هو حال الختيار قدوة المجاهدين وأب المناضلين، وتنقل بين المواقع المختلفة في التنظيم والأشبال ولجنة القدس في دمشق والخليج وتونس ثم في الوطن حيث ألقى عصاه أخيرا.

في قلب العاصفة، وعندما نزل المستعجلون عن الجبل، رفع الحق على كتفيه وصان ذاته ومساره عن النوازع والمثالب والشهوات فسجل النقاط الكثيرة في ميزان ذاته وشعبه، وعند ربه.

كان في مقدمة القوات التي تسلمت رام الله من الاحتلال عام 1994، وكان في مقدمة الركب الذي استقبل الأسطورة ياسر عرفات، وهو بشخصه الذي لا يمكن إزاحة النظر عنه، وبقامته المعتدلة وصوته الهدار كان لا يؤمن بالصفوف الخلفية أبدا، لأنه من أصحاب مدرسة العمل الذي يجب أن يبرز ويتحدث عن نفسه، ومن أصحاب مدرسة النور لا الظلمة.

في ركاب الحق وفي وسط الصورة سار صائب الهدف نصار الحق عبر المراحل، وحين تسلم التوجيه السياسي والوطني في رام الله، ومنه إلى نهاية المطاف في محافظة رام الله والبيرة، حيث استشهد في 2007/12/11 ولم يلقي بكل أحماله، ومازال في جعبة الصقر الكثير من الشوق والعيون والتحايا والوقيد التي لن تغيب حيث سنظل نراها في أبنائه وليد وسماح ووفاء، وآلاف الأشبال والطلاب والرجال والنساء من خريجيه وأصدقائه وأحبابه.

عبد الحميد القدسي صندوق أسرار الثورة

عبدالحميد القدسي المناضل الرائد منذ بدايات الثورة الفلسطينية عام 1965م وشريك الختيار أبو عمار وكل المؤسسين الباحثين عن الحرية.

يعدّ الراحل (أبو ثائر) من المعتقلين الأوائل، الصلبين والأشداء والأفذاذ، وهو من الشجاعة بمكان جعله ممن يشار له البنان بكلمة الحق في وجه العدوان الصهيوني، وبكلمة الحق عند سلطان جائر.

إنه بصفاته هذه شكل حالة ثورية اشتباكية مستمرة، لم تتوقف عن الانتفاض والتفجر والنظر بعين المبدأ والقيم والهدف السامي بلا مواربة.

جعلت منه جرأته وصراحته اللاذعة مخرزًا في عين الانتهازيين فهابوه، وتجنبوه.

وجعلت منه شخصية مخلصة لفلسطين ولمبادئها، وشخصية فريدة خاضت كل المشاهد الوطنية الفلسطينية باقتدار، وأصبحت الصندوق الأسود للثورة الفلسطينية ورجالاتها الأوائل بانجازاتهم وسلبياتهم وايجابياتهم، وعلو همتهم أو انكسارها.

لم يتواني الشهيد أبو ثائر يومًا حيث استطاع أن يشير للأعور مباشرة! لأن القيم بمسيرته مثلت ركنًا لا غنى عنه، مهما كان رأيك، وبما يعني محاربة للانتهازية المفارِقة للأخلاق والمؤسِسة للانحراف.

كان ابوثائر سجلًا حيًا صادقًا، يكشف المستور عن سقطات وجب كشفها، ويضيء على ايجابيات وبطولات وانجازات للرواد الأوائل وغيرهم الكثير ممن عايشهم.

الرجل المستقيم، الرجل المتوافق مع قيمه وأخلاقه الدينية والوطنية لا يلقى الترحيب من الطحالب أبدا.

ولكنه في قاموس الثورة بطل

وفي سِفر النضال سجّلَ معنى أن تكون ثائرًا بحق.

رحم الله عبد الحميد القدسي أبوثائر

وأسكنه عليين مع الأنبياء والشهداء والصديقين

وحسُن أولئك رفيقا.

أبو معاذ مناضل من طين!

في حياة المناضلين إيمان وإلهام. فحيث وجد الإيمان انطلق الإلهام، وحين يستقر الإيمان تبرز القوة الدافعة من عمق هذا الإيمان سواء الإيمان الديني، أو الفكري العام، أو الإيمان بالأرض والوطن والدار والجمال والفَنَن.

في الشجرة التي تجاور بيتك منغرسة بالأرض طاقة كامنة تنقلها لجميع المظلومين أو المستضعفين المرابطين في كل صباح يستقبلونها مع كل حفيفٍ (صوت الأشجار) مقرونٍ بأجمل تحية غير عابرة.

في مسيرة الثوار مجاميع من الناس تلتصق بإيمانها الفطري بالله سبحانه وتعالى وإيمانها الفطري بقدرة هذه الأرض، وتراب هذه الأرض، على أن تعكس نفسها في ذات المؤمن، فيتحول هو والطين كيانًا واحدًا ينطلق مُشِعًا ليجعل من المحيط الملتصق بالنبتة والزهرة والشجرة سعادة الكائنات، فيسعدُ الإنسان. وكيف لا وهو والأرض الطيبة قد تشكلا معًا وما انفصل عنهما إلا الشارد أو الشاذ أو النبت الشيطاني الغريب عن هذه الأرض.

في رحلة الفدائي مواقف عديدة ومساحات يتجلى فيها الإيمان والإلهام والعطاء والابداع، فإن كان لنا في الثورة الفلسطينية إلهام قد أنطق الحجر فشكل ثورة وانتفاضة

ومقاومة، فإن لياسر عرفات جوهر إلهام لا يعرفه إلا من عاشوا معه، فأخذ منهم عهد الثوار وسار بهم يقطع المفازات والبحر في درب آلام المسيح حتى تحقيق النصر وإشراق الشمس الأكيد.

ما بين إيمان مُعجز وإلهام حاضّ على العطاء اللامحدود كان الروّاد في الثورة أو المقاومة الفلسطينية يسيرون تحفّ بهم الأرياح، والأشجار وأغنيات الحصاد وأناشيد الثوار، وأهازيج النسوة في أعراس الفلاحين، وصوت العصافير، ونسمات الفجر الأنيق، ورائحة مخبوز الفرن المنطلق من تراب الأرض.

إنك تجد الفدائي وهو يجاهد من أجل فلسطين وأهله، يستلهم وجه أمه ونساء فلسطين والأطفال، وينبطح مع بندقيته في مواجهة الشراسة والهمجية والقَتَلة فلا تقذف مخزونها إلا وقاية وحماية لهذا الشعب وحفظًا لدمائه وعيونه من البكاء العظيم.

إن قيامة الفدائي هي لتحرير الأرض وتحرير نفسه وحماية شعبه البطل، فكان لهما فدائيًا وكان لهما يركب الخطر دون أن يعرضهم له.

من رُسُل الإيمان والإلهام، وتجّار العطاء الطوعي والابداع ومن تجليات الطين والزيتون، ظهرت زُمرة لم يشهد لها العالم مثيلًا حتى اليوم هي زُمرة المجاهدين والمناضلين الملهمين.

أنهم الفدائيون من أصحاب أبو عمار وأبو جهاد وأبو الوليد وأبو إياد وأبو طارق وأبو علي إياد... والقائمة تطول،

فإن عرفت منهم عشرة فأنت فائز لا محالة، وإن عرفت منهم واحدًا واقتديت فلك النجاة وفيك النصر القادم.

عدنان جابر أبو معاذ نموذج فتيّ من نماذج هؤلاء الرواد الاوائل ممن وصفناهم لك، أدرك أن مصيره مرتبط بالأرض فكان إيمانه حاضًا على التقدم، فتشققت يداه ما بين حمل الصخور والبنادق وما بين حفر الخنادق والتنقل بين القواعد وعقول الشبيبة وجيل البناء.

أبو معاذ من التياسير في منطقة طوباس كبير خبراء التدريب وأحد صناع الأجيال والتربية من خلال الممارسة، والكسب الثقافي من خلال القدوة، والتأثير من خلال البسمة الصافية المصاحبة ليد التدريب القاسية الحريصة على النهايات المثمرة.

التحق بالحركة الأم لفلسطين، والبنت لفلسطين حركة فتح لأنه يحب أمه، ويقدسها، كما كل الواقعيين والحالمين على حد سواء عام 1967 وشهد المواقع كلها إلى جانب الخالد أبو عمار، كل من موقعه صغيرًا كان أو كبيرًا حتى كانت عملية الدبويا عام 1980 علامة فارقة (ملهمة) في تاريخه لكافة الأجيال، حتى يوم نداء التراب فتواري الطين في الطين عام 2025م.

ما كانت حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح حزبًا حتى يدركها البعض ويتمنع عنها الآخر ولا كانت فصيلًا

يُكبسل الفكرة في جوهر عاجز، وإنما كانت فكرة كبيرة عامة وجامعة لذلك تلاقت في إنائها كل الأفكار، تتصارع أحيانًا وتتقاطع أحيانًا أخرى، ولكنها أبدية الهدف وأوحديته نحو فلسطين الهدف والقضية الأساسية، فتجمدت يدا عدنان جابر على بندقيته إلى أن افتكها ليحمل المنجل ويرسم على الأرض ربيع فلسطين.

أبو معاذ يحب الأرض ويمشي على تراب الوطن كأنه يسير بين الأجرام والكواكب متئدًا فرِحًا جذلًا لذلك سار بكل ما يملك من طاقة على قدميه يلقي تحاياهُ العربية على سوريا الكبرى بلاد الشام منطلقًا من لبنان إلى سوريا إلى الأردن إلى فلسطين بلا عتب حتى كانت أريحا مستقره (1948–2025م)، وكان الحدث الأكبر إجابة على تساؤلات كثيرة لم يكن يمثل العمل الفدائي لها آنذاك إلا نقطة في بحر، سرعان ما يتم ابتلاعها، لكنه شكّل تاريخه وصنع إلهامه وشق دربه عائدًا إلى حيث اللقاء الواجب مع نداء الأرض.

محمد الحوراني والظمأ!

في العام 1996 عقدنا أول دورة للكوادر في فلسطين في الخليل وبترتيب عدد من الأخوة كان منهم بركة التكروري (زميلنا لاحقًا في أمانة سر اللجنة المركزية للحركة)، وكان لي كمنسّق ومنظم ومتحدث بالدورة (للتوجيه السياسي) أن التقيت بعدد من الأخوة البارزين هناك كان منهم محمد الحوراني الذي لمع منذ الاطلالة الأولى حيث رفض أسلوبنا بالتدريب المرتبط بالمادة المكتوبة وأصرّ على الالقاء دون تقديم أوراق مسبقة، وإن كان ذلك قد أضعف منطق حفظنا للمحاضرات مكتوبة (ثم مخزنة حوسبيًا لاحقًا) إلا أن أداءه الجميل بالمحاضرة كان كفيلًا بتحقيق الهدف من التأثير المرغوب بالحضور.

كان هذا اللقاء الأول وتلاه بالسنوات اللاحقة لقاءات عدة تشاركناها سواء في التوجيه السياسي والوطني أو على شاشات الفضائيات أو في عديد الندوات والدورات التي كنا نعقدها سواء كتوجيه سياسي ثم لاحقًا كتدريب بحركة فتح، أو غيرها.

تنقل محمد الحوراني بين المواقع الحركية المختلفة التي استحقها بجدارة حتى غدا زميلًا لنا في المجلس الثوري والمجلس الاستشاري للحركة.

قِلّة من الاخوة في الإطار الحركي يمكن أن أقول أنني

توافقت معهم بطريقة التفكير ومنهج الحديث المرتبط مع أناقة الطرح وجزالة المضمون، ومن هذه القلة الملتزمة برز محمد الحوراني.

كان الرجل بحق أحد أقطاب مدرسة العقل والبرهان في الإطار الحركي وهو الذي تمسك بأهداب الخطاب أو الحديث الواضح والمهذب بعيدًا عن لغة العصبية أو الحزبية الضيقة أو التشاتم فكان قويًا بمنهج تفكيره وشخصيته الجاذبة وقدرته على الاحتضان للمختلِف مع علانية الرأي الذي يعبر عنه بما دلّ ولم يُخِل، متمسكًا بأهداب الحجة بالحجة، وبلا شطط.

لمحمد الحوراني مواقف كثيرة سواء من الخارجين عن الحركة أو أصحاب البلبلة والقلاقل فيها بحيث نأى بجانبه عنهم وإن أصر على حوارهم فلعل وعسى بمنطقه يروي ظمأ العطاشى وهو الساقي المعروف.

ظل الحوراني وفيًا لفكرة فتح الأصيلة بالمنهجية الوطنية الجاذبة والتقاربية والمنفتحة المتقاطعة مع صوت واضح وابتسامة خفيفة ميزته، قلما تتحول إلى قهقهة مدوية.

محمد الحوراني فارس من فرسان الاعلام والسياسة والكلام والتنظيم والمواجهة داخل الحركة وخارجها، ما كان واضحًا في كل الأطر التي شغلها وفي المجلس الثوري فكيف بالله عليك تنظر لمن ينتظر الناس كلماته بشوق ومحبة واعتزاز

وبترقب للجديد، هكذا كان محمد الحوراني الذي غادرنا هذا العام 2025م وفي رمضان الزمن الصعب وهو مليء كما كان طوال حياته وما ارتوينا منه بعد.

بنت فلسطين والثائر المعمم (هاني فحص).

في الستينيات من القرن العشرين وما قبلها في منطقتنا العربية، وحيث نشأ العلامة هاني مصطفى فحص، كان اللبنانيون والسوريون والأردنيون والفلسطينيون أي الشاميون لا يفرقون كثيرا عن بعضهم البعض فهمومهم وأحلامهم بالتحرر والعيش الكريم واحدة كما أشكالهم وألسنتهم، ولم يكن لأحد ليسألك عن دينك أو مذهبك ما هو بينك وبين الله فتجلى التعايش في أبهى صورة.

سأل الطفل أو الشاب هاني جدته مستفسرا عن طبيعة تعايش اللبنانيين مع الفلسطينيين؟ في الفترة ما بين العشرينيات والأربعينيات من القرن العشرين إذ كانوا يعملون معا في مدينة حيفا الفلسطينية وغيرها، كما دون ذلك في إحدى مقالاته الأدبية، إذ يقول لها: (يا ستّي، بتحبّي أهل السنّة؟ والله، أنا بحبّ الناس الأوادم. غير الأوادم، لا أعرفهم، حسابهم على ربّهم، أكره فعلهم ولا أكرههم ولا أكره أمهاتهم وأبناءهم. الشيعي اذا لم يكن آدمياً، أدعو له. وهل تدافعين عنه؟ أدافع عن ماله وعرضه وحياته وأهله، ولا أدافع عن أفعاله السيئة ولا أعاديه).

انها بيئة عرفت التسامح والحب والاحترام، فلم تعرف الكراهية والبغض والعدوان والفُرقة، وهي البيئة التي تشبعت بفضائلها نفسية «السيد» منذ الصغر.

من أين أتى لـ«ختيارة» مثل هذا الوعي؟ إن لم يكن مستقرا في أصول ثقافتنا وحضارتنا ومجتمعاتنا وديننا؟ الذي دعى العلامة الشيخ محمد راتب النابلسي أن يقول في مدرسة الحب مثل ما قالته «ستنا»: (لا يكره الإنسان الكافر بل يكره كفره فقط ويكره انحرافه، أما كإنسان يحبَّه ولذلك الإنسان إذا رجع إلى الله أصبح أخاك وانتهى الأمر، وعلامة المؤمن لا يوجد عنده حقد أبداً وأعدى أعداء المسلمين لو أنه اصطلح مع الله يجب أن تحبَّه من أعماق أعماقك).

في تلك الفترة وفي مثل هذا الجو الرحيب نشأ السيد هاني فحص في بلدته (جبشيت أو جب شيت) في لبنان وتعاون معه الفلسطينيون في تجارة الدخان وتهريبه، ولقى وأهله منهم كل مودة ومحبة واحترام لربما كان لها الأثر البعيد في اقترابه الكبير من كل الفلسطينيين لاحقا.

أن يدرس في مدينة النجف ويصبح فقيها وعالما بالمذهب الشيعي لم يكن من ذلك ان جعل عقله مقفلا بلا مفاتيح، بل انفتح على المذاهب الدينية والمدارس الفكرية سواء الإسلامية أو المسيحية أو العالمية عامة، فوطد أفكار التقارب الإسلامي المسيحي في سيرته فلم يأنف أن يلقي خطابا أو يحضر حفلا

أو يشارك أي فعالية لأي كان من المخالفين أو الموالين.

وكما كانت علاقته مع «سِتُّه» متسامحة ولطيفه ومؤثرة، كانت علاقته مع أم جرجس المسيحية، التي عايشها وعائلتها، فدخل بيتها ليأكل ويصلي فيه ويتباسط، وعندما توفيت أم جرجس كما يقول رجاء بشارة (لم تجد العائلة غير السيّد ليلقي كلمة العائلة في كنيسة دير ميماس «قضاء مرجعيون» في لبنان باسمها، لأنها أحبّته، وقال يومها: «أنعى إليكم أختي وأمي». وتكلّم عن علاقتها بفلسطين وشباب المقاومة.)

السيد الهاشمي كان من أنصار فكر د. علي شريعي المفكر الإسلامي الشيعي المتنور صاحب كتاب (التشيع العلوي والتشيع الصفوي) وهو إذ توفى مسموما على الأرجح في مقتبل عمره، فإن السير في جنازته وجنازة ابن الخميني عام 1979 وبمواكبة الزعيم ياسر عرفات كان اللمعة التي احتاجها السيد ليربط بين ياسر عرفات والخميني في النجف حينها، فكانت الرسالة الأولى، التي خطها ياسر عرفات وإن بقلم «السيد» ومشورته ليجيء فحواها كالتالي: «لقد رأيت أن أكتب إليك هذه الرسالة وأنت تعرف مبلغ اعتزازنا بكم وبثورتكم المباركة ضد الظلم والطغيان وضد الصهيونية والتسلط الإمبريالي على منطقتنا والذي تقوده الولايات المتحدة الأميركية، وقد اخترت الأخ الكريم هاني فحص -حضرتك- ليحمل إليك هذه الرسالة وليطلعكم على بعض الأمور الهامة وليطلع على آرائكم

بشأنها خاصة وأنها مهمة في هذا الوقت الذي تحاول هذه القوى الغاشمة أن تبلغ أهدافها ضدنا جميعا ولتركع أمتنا الإسلامية تحت أقدامها وأطماعها. أرجو في هذه الرسالة أن أنقل لسماحتكم محبة أبنائكم المجاهدين الصادقين الصابرين ودعاءهم وآمالهم وأمانيهم لكم ولجهادهم، إنه سميع الدعاء. وتقبل أطيب وأسمى تحياتي ومودتي القلبية الحارة».

وبعد الرسالة الأولى توالت الرسائل وتوطدت العلاقات بين الثورة الفلسطينية والثورة الإيرانية إذ طار هاني الحسن مع «أبو عمار» إلى طهران للقاء الخميني، وتسلم سفارة فلسطين، رافعا العلم الفلسطيني بديلاً عن العلم الإسرائيلي.

صاحب مدرسة فكرية استطاعت تحقيق التوازن، والعرفان والتنوّر، فلم تتجه للشطط ولا إلى التطرف، ولم تعرف التعصب المذهبي ولا الديني، وصاحب دعوة عروبية للوحدة ومساحة ود ومحبة واختلاف واسعة ميزته، ولا بد أن علاقاته مع أبي جهاد وسعد صايل وهاني الحسن وياسر عرفات وأترابهم من قيادة الثورة، كان لها الدور الكبير في اتساع الفضاء، رغم توقفه عن نقل الرسائل عام 1988 بعد اندلاع الحرب العراقية الايرانية فالخميني مرجعية دينية وياسر عرفات مرجعية سياسية، قال لأبي عمار: وأنا شيخ لا تضعني أمام اختبار أو اختيار بينكما.

كتب يقول أنه وجد في حركة فتح ما لم يجده خارجها

حيث «وجدنا في حركة فتح فضاء رحبا يجنبنا المصادرة والاستحقاق والحزبية الضيقة ويحمينا».

وقال في مقدمته الرائعة لكتاب اللواء محمود الناطور الصادر عام 2014 والمعنون «حركة فتح بين المقاومة والاغتيالات» (أن فتح جسم كبير ومرن يتسع ويتسع ويهضم، ويعيد التشكيل، ويستعيد التائهين... ما جعلنا نقول عن خبرة ومشاهدة، بأن فتح عمارة، أو مدينة يجد من يريد الدخول إليها أبوابا كثيرة مفتوحة على وسعها، أما إذا أراد الخروج، أو أراد أحدٌ أن يخرجه فإنه لن يجد بابا يخرج منه، فلا بد له من البحث عن ثقب في جدار ينسحب من خلاله، ليجد نفسه بلا مأوى ولا أهل ولا رفاق ولا قضية).

وكان يخاف على الثورة والحركة التي احتضنته، كما كان يخاف على الفكر والعقل والثقافة والتسامح الديني أن يُفقد ما كان واضحا في كل مؤلفاته وخُطبه، وفي لوعته على الحركة التي انتقد المثالب فيها كثيرا قال: (لو كنت تراقب حركة فتح من بعيد، في زمن العواصف والزلازل، لخفت عليها أن تنهار صباح الغد... ولكن ما يلبث أبو عمار إن يعود من سفره، حتى يحتشد حوله من كانوا يرجمونه أمس مع من كانوا يدافعون عنه، ليتباحث الجميع في الشراكة من أجل تجاوز الأخطاء وتعويض الخسائر ومراكمة الانجازات الصعبة دائما).

وقال: (أريد لفتح ان تعالج اعطابها... لأن فلسطين

لا تستغني عنها، وأنا لا أحب فتح لأنها جميلة أو طويلة أو غنية، أنا أحب فتح لأنها بنت فلسطين التي تشبهها. ولأنها أم فلسطين التي تشبهها ولا أحب أن يتراجع الشبه بين فتح وفلسطين لأن في ذلك حراما بيننا وشبهات لا تبعد كثيرا عن الحرام...).

وقبل وفاته بفترة قصيرة قال: باعتزاز عميق أيضا لـ«حارس الورد» أي حركة فتح: (تحية لفتح الوسطية، والتي إن مر الدين عبرها سلم... ودين فلسطين المركّب من أهلها وذاكرتهم وعيشهم المشترك وحلمهم المشترك، الساهر في المساحة الجميلة بين الأقصى والقيامة، ليذهب فجر الميلاد معا إلى بيت لحم، هذا الدين وجدته في حركة فتح عندما لم يلتفت احد إلى عمامتي السوداء كعلامة شيعية، بل كعلامة هاشمية عربية مسؤولة من دون امتيازات... ولم التفت إلى أن أحدا من فتح بعيد عني لأننا مختلفان دينيا أو مذهبيا أو فكريا...).

وحيث وجد الرحابة والحرية، وجد فيها حوارا داخليا عنيفا كان يحتاجه في شتى المواضيع وفيها انتقد كثيرا، وطور من تفكيره، وإن لم يسأله أحد في حركة فتح عن عمامته السوداء وعلاقتها بالثورة فلقد كان للفلسطينيون شرف احتضان العمامة البيضاء للشيخ السوري عز الدين القسام قبله.

من يستطيع بكل ثقة أن يجمع في خطبة واحدة بين عمر

بن الخطاب وبين فولتير، وبين علي بن أبي طالب وجيفارا غير هاني فحص ومن يستطيع أن يتمثل بقول المسيح ومحمد عليه أفضل الصلاة والسلام سواه.

في الإطار سألوه كيف تحب (جيفارا) وأنت شيخ معمم فقال ردا جامعا مانعا: عندما قرأت (نهج البلاغة) أحببت جيفارا.

من أتباع الطائفة من تضرر من علمه الواسع وسعة صدره وأفكاره المتنورة وطروحاته المتميزة وكتاباته الجامعة ما لم يؤثر فيه إلا بتعميق مدرسة الحب والقبول والاتساع، فجمع في شخصه بين شخصية العالم الوقور والأديب والمثقف جم التواضع رحب الأفق.

السيد هاني فحص الفلسطيني اللبناني ثورية، هو ذاته المسلم دون قيود، والإنسان دون حدود والمستقبل المأمول رحابة وانطلاقا وتقبلا وسعة.

فاضل الربيعي حين يختلف

يتخذ العالِم قراره بناء على وعي.

يتخذُ العالِمُ رأيه بناء على بحث وتمحيص وتنخيل ونقد وقراءة ودرس عميق، حتى لو خالف الرائج أو المتداول والمشهور.

للعالِم أن يغيّر رأيه، أو يؤثر فيغيّر رأي الآخرين والمسار، ويتخذ من أبحاثه منصّة للتحرر من الموروث لأن القاعدة لديه مرتبطة بالمنهج العلمي.

المفكّر والمؤرخ والبحاثة والصديق فاضل الربيعي (1952–2025) الذي رحل عن عالمنا منذ أيام فقط اتخذ منهجًا بحثيًا مختلفا في التاريخ، والإخباريات والموروث العربي واستند لقراءة عميقة ومجموعة مباحث وأسفار نطقت له بحقيقة فلسطين العربية عبر التاريخ. حيث رآها في سياق الرواية التوراتية في مساحة أو مسرح اليمن القديم.

مما لا شك فيه أن هناك من سبق الربيعي في هذا الأمر، حيث مسرح التاريخ التوراتي القصير جدًا تاريخيًا كان في اليمن القديم (من جنوب مكة وصولًا لليمن الحالي)، لكن التوسع لدرجة كبيرة جدًا والتفصيل كان من نصيبه.

ألف الأستاذ فاضل الربيعي عشرات الكتب والأبحاث في

فلسطين، وقبيلة بني اسرائيل القديمة المندثرة، وفي الديانة اليهودية وعرف الكنعانيين والفلسطينيين... من القبائل والجماعات كلها، وعرّج على ممالك ذاك الزمان في الإطار السبَئي والحِميَري باليمن، والممالك الأخرى ذاك الزمان.

لك أن تقرأ له وتختلف أو تتفق. ولكن عليك أن تحترم الاختلاف فلا تنوء تحت ثقل الأفكار الصماء الموروثة، أو تُدفَن تحت وطأة المواقف العمياء متعصبًا لشمال أو جنوب حتى بالتاريخ والقصص والروايات والأساطير والخرافات.

جوبه العالم الكبير فاضل الربيعي بسيوف العرب والمسلمين قبل غيرهم حين وضع أصبعه على الخريطة فقوّض كافة ادعاءات محتلي فلسطين بأن أرض فلسطين لهم!؟

وأثبت كذب أن المحتلين اليوم هم ذاتهم القدماء (قبيلة بني «إسرءيل» المندثرة شيء والمحتلين لبلادنا ممن يتخذون نفس الاسم شيء ولا يلتقون إلا بالديانة فقط، وليس بالأصل الإثني أو القومي أو الجنسية)، وذلك بتفجيره تاريخهم من الزاوية الجغرافية، ثم حسب علم أصل الإنسان (الانثروبيولوجية) والتاريخية، وعلم الأساطير (الميثولوجيا) وعلم اللغة المقارن (الفيلولوجي) وغيره.

فكانت الحقيقة انه تاريخ (مع عديد الخرافات والاساطير فيه-اي بالتوراة) في مكان آخر غير فلسطين كما أسهب المؤرخ بالشرح سواء بأسفاره أو بلقاءاته الدسمة على قناة الغد مع

الاعلامي الكبير الصديق باسم الجمل، أو من خلال الجامعات التي تبنت الرواية في المغرب لا سيما وهو قد جال عديد دول العالم موضحًا منهجه وأبحاثه وما اعتبرها فتوحاته البحثية التاريخية.

العالِمُ لا يخشى الناس وإنما يخشى أن تموت الحقيقة حين التستّر عليها ممالأة للمشهور والسائد لذلك كان حصانه يعدو بسرعة ليصل لكامل الحقيقة كما يراها.

إن العالم يخشى على الحقيقة أن تضيع ولا يخافها، كما لا يخاف الناس، وإن كان في ذلك نزاع طويل أو جدل كبير وهو بذات الوقت يغيّر أو يتغير حين يجد المختلِف لذلك فالعالِم يسمع ويتأمل ويطوّر، وقد ينقلب أو يثبّت.

يحضرني المسار الفكري البحثي للأخ والصديق المؤرخ أحمد الدبش الذي كان من مدرسة اليمن باعتبارها مسرح أحداث التاريخ التوراتي لكنه بعد 20 عامًا داخلته قناعات جديدة لم يخف معها أن يغيّر الاتجاه بكل قوة وثقة، فكان صلبًا ومتساوقًا مع قناعاته يجري وراء الحقيقة ليدركها. ومثله يمكن أن نقول باتجاه بحثي مختلف عن فاضل الربيعي لكل من الأساتذة الأصدقاء الكبار د. إبراهيم عباس والأستاذ حسام أبو النصر، ود. عصام سخنيني... وأيضًا د. علاء أبو عامر الذي أدخل العنصر الفارسي أو الهندوآري على التاريخ الفلسطيني، والفلسفة الهندوسية المختلطة مع الموسوية عند

الديانة اليهودية ما كتبنا عنه سابقًا وما يحيل من يرغب أن يستكشف ويتبيّن أن يطّلع على الأبحاث لكل هؤلاء العلماء فيقارن ويستكشف بعقل مفتوح.

فاضل الربيعي عندما أسّس مدرسته بحث مطولًا عن أفضل الطرق لهزّ القناعات الميتة والمصمتة فكان ذلك رويدًا رويدًا حتى اكتمل مشروعه التغييري.

التقيت الأستاذ فاضل الربيعي لأكثر من مرة، وحادثته كثيرًا، فكان رجلًا ثريًا بالمعلومات وهو منذ العام 2008 كما اعتقد قد أضاف لقناعاتي الكثير، منذ أن أشار اليمنيون –قبل ذلك– لياسر عرفات قائلين له هذا هو الهيكل هيكل سليمان إنه هنا!

كتب فاضل الربيعي عشرات الأسفار مثل: فلسطين المتخيلة، أرض التوراة في اليمن القديم، وكتاب مصر الأخرى إسرائيل المتخيلة مساهمة في تصحيح التاريخ الرسمي لمملكة إسرائيل القديمة، وكتاب يهوذا والسامرة البحث عن مملكة حِمَيَر اليهودية، وكتاب الرومان ويهود اليمن لغز الهيكل لثاني، وأيضًا الألغاز الكبرى في اليهودية. والقدس ليست أورشليم وهو الكتاب الذي شرفني الأستاذ فاضل أن أكتب كلمة عنه في الغلاف الخلفي له بالطبعة الفلسطينية. وكتاب حقيقة السبي البابلي، وكتاب أسطورة عبور الأردن وسقوط أريحا... وعشرات الكتب والأبحاث الأخرى.

لطالما جوُبِهَ الربيعي بالقول الضعيف أنك بأبحاثك هذه تريد أن تنقل القضية (الصراع) أو المشكلة العربية الفلسطينية-الإسرائيلية الحالية إلى اليمن! بمعنى أن كون مسرح أحداث التوراة التاريخي هناك يعني أن (اسرائيل) الحالية يجب أن تكون هناك؟! وهذا كلام غير صحيح قط، لأنه كما ردّد طويلا أن أتباع الديانة اليهودية الحاليين لا علاقة لهم بالقدماء المندثرين من قبيلة بني إسرائيل القديمة، وإنما هم من اعتنقوا الديانة من شعوب شتى، وبالتالي لايحق لمن اعتنق الديانة اليهودية أن يدّعي أنه وريث القبيلة المندثرة، أو أنه من نسلها، أو أن أرضهم القديمة أرضه كما حال المثال مع المسلمين الماليزيين أو الباكستانيين مثلا حيث لا يحق لهم لأنهم مسلمين أن يقولوا أنهم من قريش وأن مكة والمدينة أرضهم لأنها أرض نبيهم ونبينا محمد ﷺ!

فاضل الربيعي لم يترك القلم حتى وفاته، فهو عبارة عن سجلّ تاريخي وثقافي وفكري وأيضا سياسي لا ينضب، وفاجأتنا وفاته والمسألة التي طرحها مازالت قيد الغضب أو التفكر أو التقبل، أو الرفض من الآخرين خاصة ممن انسحقوا تحت ما يسمى (الاسرائيليات)، أو ممن آمنوا بروايات المستشرقين من الغربيين الاوربيين المستعمرين (المستخربين) الذين كان جلّ سعيهم مطابقة مسرح أحداث التوراة مع فلسطين ولو بالتزوير -وهو ما حصل- وهو ما درج على تبنيه حتى من عديد العرب والمسلمين. مع الاحترام بالقطع لأصحاب

النظريات العلمية التاريخية الأخرى التي تعاملت مع فلسطين ممن ذكرنا أسماءهم أو لم نذكر بهذه السطور.

فاضل الربيعي (بعلمه الذي يُنتفع به) لم يكن عالمًا فقط وإنما أيضا كان مقاتلًا شرسًا لا يتصدي للحجة إلا بالحجة والبرهان والدلائل المادية، فأرهق مخالفيه وأمتع أصحاب العقل والتفكر أمثالي وأمثال مَن جعل من الإيمان والعقل مصباح الهدى. (توفي الصديق والعالم والمؤرخ العربي العراقي فاضل الربيعي في عام 2025م).

حسن الترابي حين يغادرنا

حسن الترابي (1932–2016) الذي ودعنا منذ أيام، لم يكن شخصا عابرا أو إنسانا عاديا، ود. حسن الترابي الذي فارق الحياة الدنيا لم يفارق الدنيا لأنه وضع إرثا فكريا فلسفيا تعبويا علميا تجديديا استطاع به عبر مراحل حياته أن يحقق منه الكثير في إطار حراكه الجماهيري الاجتماعي المتواصل في كافة أرجاء السودان وفي إطار إثراءاته الفكرية ومن خلال تنظيمه الوطني (حزب الميثاق الإسلامي ثم عبر حزب المؤتمر الوطني الحاكم، ثم بعد الخلاف أسس عام 2001 حزب المؤتمر الشعبي)، وفي إطار تنظيمه العالمي الذي جمع فيه العرب والمسلمين كثيرا.

لم يكتفِ حسن الترابي أن يجعل من الفكرة إطارا يلتف حوله المريدون كما فعلت جماعات واحزاب غيره في السودان وخارجها، فيتسلم مفاتيح شيخ الطريقة ويقفل عليهم الباب ليتبعوا أو يسبحوا ضمن مساحات فهمه أو فكره فقط، لذلك خرج من «الإخوان المسلمين»، وان احتفظ معهم وغيرهم من الأحزاب بعلاقات جيدة، بل جعل من فكره دستورا للحرية لمن آمن به أو عارضه من المسلمين أو غير المسلمين، وتلقى المعارضات برحابة للجميع للمخالف في إطار سعيه الحثيث نحو الحرية في مجالات تعدد السُبُل والمجتمع والسعي،

والاعتقاد والفكر والتعبير.

لم يكتفِ حسن الترابي أن يجعل من سجنه صومعة للتعبد أو ديرا للتأمل أو مسجدا للصلاة فقط، وإنما اجتهد وواصل في معتزله عملية التفكر والبحث والصراع والكتابة فأنتج من سجنه كتبا عزيزة كما أنتج في منفاه أو اقامته الجبرية.

ما كان الفكر لينعزل عند الترابي بين دفتي كتاب فقط أو عبر مناظرة أو في ندوات أتقن فنها، وإنما هو ارتباط بتطبيق واقعي خاض فيه نضالا أوليا في الجامعة ضمن ما رآه حينها يقترب من فكرته الفسيحة أي عبر (الاخوان المسلمين) ولما ضاق الإطار جعل من تنظيمه الذي صنعه لاحقا فضاء رحبا فخرج لينفد بجلده منتصرا لوعيه وعقله من صلابة القديم المتآكل إلى نضارة الجديد المتفتح.

جعل الترابي من الحزب (التنظيم) مختبرا لأفكاره الاشراقية، إذ طبق فيه قيم الحرية والمساواة والعدالة والانفتاح والتسامح وحوار الأديان، وهو الذي كان من أوائل المفكرين الإسلاميين في الكثير من أفكار التجديد مما يحسب له، والذي منه بإعطاء المرأة حق الولاية الكبرى في القضاء والإمارة ندا للرجل.

خاض الترابي نضالا وجهادا سياسيا بلا هوادة ضد الاستبداد والاستكبار والظلم وانعدام العدالة وضد الفساد، وضد أدعياء الإسلام في بلاده فاضطهد بعد أن كان في إطار

السلطة في السودان قد فتح الأبواب العريضة للبلد من خلال علاقاته وأسلوبه ومسارات الجمع التي باشرها حتى جعل من مؤتمر الأحزاب الإسلامية فضاء كبيرا أخاف النظام الحاكم رغم مشاركته فيه فأسقطوه.

حسن الترابي العالم بأصول الدين والتوحيد والفكر السياسي ألف العديد من الكتب الثمينة، وصنع بنفسه بل نحت مصطلحات جديدة ميزت تراثه الفكري والسياسي عمل عبرها أن يتميز عن الموروث البالي وعن الغرب، رغم اقترابه في الكثير من أفكاره من تجديدية الغرب دون أن ينسى أصالة حضارتنا العربية الإسلامية.

رحم الله الشيخ العلامة رحمة غامرة وأسكنه فسيح الجنان فلقد كان علامة ومجتهدا وقدم للأمة والبشرية تراثَ فكر نهضوي مستنير مكّن الناس من تلمس نور الطريق وحقيقة الإسلام والإنسان والكون وفتح بفهمه المرحاب بوابة واسعة أخرجت الموروث من ضيق التقليد إلى فضاء السعة التي تميز حقيقة الدين القويم رحم الله الشيح الجليل ونفع بعلمه الغزير الأمة.

حلمي التوني الفنان الذي رَسَمَ فلسطين فأحبته.

الفنان العربي المصري الكبير حلمي التوني هو الفنان الرسّام الذي صوّر العالم العربي والحياة المصرية بكافة تنوعاتها وتشكيلاتها وكان له الباع الطويل في قضية فلسطين إذ شكلت لوحاته واسهامته الجميلة إضافة نوعية على الفن التشكيلي عامة وفيما يتعلق بالثورة والقضية الفلسطينية تضاف لابداعات كافة الفنانين سواء التشكيليين العرب والفلسطينيين.

وفي إطلالة سريعة على الفن التشكيلي الفلسطيني يمكننا الإشارة إلى الرواد أمثال حنا مسمار (1898م–1988م) من الناصرة، ومحمد الدجاني، وجمال بدران من حيفا، والفنان الخطاط بفن الخط العربي مثل محمد صيام، ويوسف النجار.

والمبدع الكبير الذي نزع النكبة عن كتفيه وواكب انطلاقة الثورة والمقاومة الفلسطينية منذ العام 1965م اسماعيل شموط وزوجته تمام الاكحل شموط، ومن هؤلاء الكبار ممن رسموا للثورة ولفلسطين والمقاومة وجذوة النضال حسني رضوان وسليمان منصور ود. عبد الرحمن المزين وفلاديمير تماري وعصام بدر.

بل والكثير الذين نقتطف أسماء نماذج فقط منهم توفيق عبد العال وميشيل نجار، ومحمد بشناق وعفاف عرفات، ويوسف كتلو، وفتحي غبن، وسميرة بدران، ويوسف دويك، وبشير السنوار، وعماد أبو اشتية... والكثير من الفنانين الرائعين الذين تجاوزوا اليوم المئات.

وما لا يمكن اغفاله عندنا كمقاومة فلسطينية منذ الانطلاقة عام 1965 هو دور الاتحاد العام للتشكيليين الفلسطينين منذ انشائه عام 1969م، والذي أخذ على عاتقه بالتعاون مع إدارة الإعلام والثقافة التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية، مهمة تنظيم قدرات الفنانين، وتوحيد جهودهم ونشر أعمالهم من خلال معارض فردية أو جماعية تقام في الداخل والخارج.

وبالعودة إلى الفنان الراحل حلمي التوني (30 أبريل 1934 – 7 سبتمبر 2024) يقول عنه الكاتب الفلسطيني يوسف الشايب «أنجز التوني عشرات اللوحات المتعلقة بفلسطين وقضيتها، والكثير من الملصقات أيضاً في إطار تعاونه مع دائرة «الإعلام الموحد» لمنظمة التحرير الفلسطينية، كما وثق في سلسلة من رسوماته حصار بيروت في العام 1982م، ووّثق بصريّاً في لوحات، لانتفاضة الحجارة العام 1987، ليواصل رسم فلسطين حتى أيامه الأخيرة...»

وكان آخر منشور للفنان الراحل الكبير على تطبيق «فيسبوك» في منتصف يوليو الماضي عن فلسطين مصحوبا

بعبارة «عيوننا إليكِ ترحل كل يوم» من قصيدة زهرة المدائن.

وتكتب صحيفة الشروق المصرية عنه في يوم وفاته 2024/9/7م أنه «بحسه الفني البديع عمد حلمي التوني إلى توثيق رموز المقاومة فنيا كما فعل مع مفردات التراث الشعبي الفلسطيني، فنجد في لوحاته علم الثورة الفلسطينية وعلامة النصر التي حوّلها الزعيم الراحل ياسر عرفات إلى أيقونة، ومفتاح العودة، وأغصان الزيتون وميزان العدالة، إيمانا بإنسانية وعدالة القضية فضلا عن وطنيتها وبعدها الهوياتي».

وكان الفنان التشكيلي الراحل «حلمي التوني» قد نشر الكثير من اللوحات –طوال حياته المديدة–التي عبر بها عن مساندته للشعب الفلسطيني حيث الأرض والثورة والمراة والشرف والصمود. ومؤخرًا في عام 2021 نشر صورة لفتاه تحمل القدس بين يديها معلقًا: «تحية للقدس الصامدة الصابرة»، ما زال شعب فلسطين في القدس متمسكا بأرضه ومقدساته ويدفع كل يوم الثمن من دماء شبابه».

وفي شهر يوليو عام 2023 الماضي نشر صورة لفتاة فلسطينية تحمل «مفتاح العودة» حول عنقها وعلق عليها بقوله: «أن كنت ناسي أفكرك، عنوان أغنية غنتها زمان هدي سلطان... وفي هذه الأيام نعود لنقول لضمير العالم والإنسانية: «إن كنت ناسي أفكرك»!!... الصورة لملصق رسمته منذ عشرات

السنين.».

ويشير يوسف الشايب أن «من بين أبرز لوحاته عن فلسطين تلك التي حملت عنوان «فلسطين في القلب»، وأنجزها في العام 1977، وتظهر فيها فلسطينية تحمل سلة برتقال في حضنها، و«أطفال الحجارة»، وغيرها من التي حرص على استعادتها عبر صفحته في «فيسبوك» منذ اندلاع حرب الإبادة الإسرائيلية المتواصلة على قطاع غزة، وامتدت إلى الضفة، مع تعليقات ينتقد فيها صمت العالم وانحيازه للإجرام، وكيله بمكيالين أو أكثر».

رحم الله الفنان العربي المصري الكبير حلمي التوني الذي عشقنا الفن من رسائل لوحاته ذات العمق العروبي الحضاري، والمصري والفلسطيني وهو الذي رسم فلسطين بكل ما وصلت اليه يديه البارعتين من مفهوم الأرض والنضال والحق إلى تكريس الرموز مثل شارة النصر لأبي عمار التي جعلها ياسر عرفات رمزًا للنصر القادم بإذن الله وصولًا إلى الانتفاضة ومع كبر سنه لم ينسَ إدانة العدوان الهمجي الفاشي على غزة إذ ظل قابضًا على جمر القضية في عصر الانحدار والتخاذل والقرف العربي.

الفصل الثاني

على الدرب سائرون

أرسل حكيما ولا توصه مع أبو ماهر غنيم

كان العام 1990–1991 عاما صاخبا بأحداث جسام حيث تحرير دولة الكويت وانكفاء الغزو، وتغول أمريكا على الأمة حتى اليوم، ومحاصرة الثورة الفلسطينية.

في تلك الفترة كان لي مجموعة من المشاريع المرتبطة بمركز دراسات وتقدير موقف وتفكير استراتيجي، وبناء ذاتي وجماعي، وتدريب عرضتها على الأخ أبو الطيب (ال17) كما كان يُسمى حينها، أحد أبطال معركة صمود بيروت، وهو اليوم اللواء محمود الناطور رئيس واحد من أهم مراكز الدرسات المتخصصة بالثورة الفلسطينية والذي لي الشرف للعمل فيه ومعه.

المهم أنني عرضت مشاريع العمل على أبي الطيب، بصحبة الأخ الشهيد أسامة عقل رحمه الله، فأثنى عليها كعادته المحبّبة بدعم المبادرين، وأشار لي لأن أعرضها على القائد العام أبو عمار.

وفي ذاك العام وصلت تونس بانتظار الأخ القائد العام لعرض المشاريع عليه، ما لم يحصل بعد انتظار طويل تخلّله مماطلات واعتذارات ونظرات الريبة من الطوق الذي يحيط

بعنق كل مسؤل أو قائد فيحجب عنه عين الشمس.

فشلت المهمة فعرجت على مسؤل التعبئة والتنظيم بالحركة الأخ أبو ماهر غنيم لأودعه لا ألوي على شيء، فما كان منه بعد أن سمع بمحاولات اللقاء الفاشلة مع الأخ أبو عمار منصتًا حتى النهاية، إلا أن قال لي بكل ثقة: أنا أريدك أن تعمل معي، وكرّرها أكثر من مرة!! ومضيفا: من الآن! لم استطع أن أجيب. ولاحظ الدهشة والتردّد والعرفان كلها معا كما اعتقد في قسمات وجهي ما منعني عن الرد فقال بصرامة القائد وحدبه: داوم من الغد!

لم يكن هذا اللقاء هو الأول مع الأخ أبو ماهر الذي التقيته قبل ذلك مرتين الأولى في الجزائر في المؤتمر 9 لاتحاد الطلاب الذي كان برئاسة د. ناصر القدوة، والثانية في الجزائر أيضا في أحد اجتماعات المجلس الوطني التي حضرتها حانقًا على لجنة الإقليم التي كنت جالسا معها إزاءه منتقدا أداءها بقسوة على عادة الشباب.

من تلكما اللقائين تقابلت الأرواح بين شاب طموح يسعى لفلسطين بكل قوة وحُب، وبين قائد عركته الحياة والتجربة الثورية، فعرف بفراسته العربية كيف يختار، كما عرف -ما خبرته لاحقا- كيف يشغّل ويوظّف ويحرك الوفود التنظيمية عبر العالم بنظرة الواثق بفريقه أو جيشه الذي أصبحت منه.

أبو ماهر غنيم رجل الثراء المعرفي وصاحب الخبرة

التنظيمية الواسعة وذو الصدر الرحب، والنظرة الممعنة كان يؤثر العمل الصامت ولكن المؤثر، وكان ينسحب من الأضواء -حتى اليوم- ويجعل من جنوده أو فريقه يتكلم عنه فانتشروا اليوم في فلسطين وكل أنحاء العالم يبشرون بالنصر القادم الذي لم يكن لأبي ماهر إلا أن يرسمه رسالة يحمّلها لكل وفد تنظيمي لأقاليم فتح بالعالم قائلا له: أرسل حكيما ولا توصه!

لقد أتقن أبو ماهر محمد راتب غنيم المهمة الأولى لمسؤول الكتلة البشرية أي التنظيم وهي مهمة اختيار الفريق العامل معه، وهو الفريق الذي يغرِف يوميا من معرفته ومدرسته وحلمه وحزمه وحبه وحرصه، فلم يكن منه ساعة الامتحان إلا أن يؤدي واجبه. فلم يقل أبو ماهر لي أو لغيري من وفود مكتبه مكتب التعبئة والتنظيم إلى العالم: افعل كذا أو كذا، بل ردّد المأثور العربي للشاعر الشاب طرفة بن العبد: أرسل حكيما لا توصه.

ما ذكرني مؤخرا بقول «ستيف جوبز» الشهير أبو «الآيفون»: أننا نوظف المميزين ونحسن اختيارهم لا لنقول لهم ما يفعلون، بل ليفعلوا ما اخترناهم له أو بصيغة أخرى: «من غير المنطقي أن توظف الأذكياء ثم تخبرهم بما عليهم أن يفعلوا! نحن نوظف الأذكياء لكي يخبرونا هم بما علينا أن نفعله».

أبو ماهر اليوم يبتسم، كما بالصورة! وقلّما كان يبتسم في

الفترة الأخيرة لربما لهول ما وقعنا فيه في فلسطين، ولفظاعة الأحداث في ظل الانحسار والانكماش والتعثّر الذي نعيشه. لكنني ومع كتابي اليوم الذي قدمته له وهو الرابع عن حركة فتح تحت عنوان الوتر المشدود، ما كان منه إلا أن علّق بمودة وابتسم، وطلب نسخة ثانية.

لماذا لا تبتسم يا أخ أبو ماهر؟ ونحن من فريقك الذي أسرج الخيول استجابة للنفير بين الانطلاقة والانتفاضة وأضواء المقاومة الشعبية! ولم لا تبتسم والنصر الذي لم تشكّ به يوما ومازلت تبشّر به رغم المُلِمّات الشخصية، ورغم النوازل الوطنية ورغم النكبات العربية والإقليمية نراه في لحظات وأيام وسنوات عشناها معك وما زلنا.

ابتسم، فلم يكن من الرسول محمد ﷺ قدوتنا جميعا إلا أن يتحمل المحن، ويستعين على الشدائد بالدعاء والابتسامة والعمل (يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا، واتقوا الله لعلكم تفلحون) ابتسم فلعلنا. (2019/9/16 فلسطين)

مع الأخ أبو مازن والاختلاف

كتبتُ عديد المقالات متفقًا مع مواقف أو آراء عدة من مواقف الأخ أبو مازن، كما فعلت قبله مع الأخ أبو عمار، وغيرهما من قيادات الحركة الوطنية الفلسطينية.

وكتبت رافضًا عديد مواقفه السياسية أو التنظيمية، أو تحدثت بها بوضوح أكثر في الجلسات الداخلية وبالاسم وبتفصيل أكثر، فلم أتلقى من الاثنين أي ردة فعل سلبية لا شتمًا ولا تنبيهًا ولا عداوة ولا حقدًا. وإلى ذلك ألّفت في إطار الحركة أكثر من 30 كتابًا، وآلاف المقالات والدراسات والاوراق، ولقيت النقد الكثير لبعضها من أخوة بالقيادة نعم، وهذا حقهم، ولكن دون عداوة أو بغضاء أو ردة فعل تحقيرية للرأي، أو (عقابية) مرذولة إن شئت تسميتها، رغم أنها حصلت مع آخرين وهو خطأ كبير.

وفي السياق دعوني أعرض عددًا من المواقف للنظر، وفي الجعبة الكثير

1- مع الأخ أبو مازن وفي ندوة خاصة من 4 أو 3 سنوات تقريبًا تحدث بما يزيد عن 3 ساعات فعليًا وأطال وأجاد في مساحة الحديث الفكري والتاريخي والثقافي خاصة عن بدايات القضية الفلسطينية والصهيونية منذ القرن 16 فصاعدًا، ولاحظت أنني وعدد قليل للأسف هم مَن كانوا يسجّلون

ويدوّنون الملاحظات! وعلى كلّ بعد أن أنهى حديثه التاريخي انتقل للكلام عن بداية المقاومة الفلسطينية عام 1965 وأخطأ في مساحة محددة مقلّلًا من دور أحد الأخوة المؤسيين فارتبكت وانفعلت لأنني شاركت مع الأخ أبو الطيب محمود الناطور بوضع كتاب معرفي وسِفر كبير بأكثر من ألف صفحة عن تاريخ الحركة بما أصّلنا وبما وثقناه، ويخالف رواية أبو مازن.

أتم أبو مازن كلامه وذهب للاستراحة ثم عاد بعد فترة فجلس على كرسيه، فما كان مني إلا أن أوقفته قبل الاستكمال لحديثه وواجهته بالنقطة المخالِفة -الخطأ- مستندًا للمرجعية الواضحة، هو جالس وأنا واقفٌ بجانبه، فما كان منه إلا أن استمع -رغم المعروف عنه أو الشائع أنه لا يستمع أو أنه قليل الصبر- ونظر لي بعين الرضا وقال: لقد فهمتُ، شكرا.

2- في أحدى جلسات المجلس الثوري لحركة فتح الذي كنت عضوًا فيه وعندما جاء دوري بالكلام أعطاني رئيس المجلس آنذاك الاخ أمين مقبول دفّة الحديث فقمت من مقعدي متجهًا إلى جوار المنصة التي يجلس عليها الأخ الرئيس أبو مازن وأمين مقبول أمين سر المجلس، والأخوين صبري صيدم وفهمي الزعارير من أمانة السر، لأتحدث وكان الامر في مواجهة قرار صدر عن الرئاسة عارضته وعدد من زملائي في المجلس بقوة ولما كان الأمر لا يُعجب الرئيس وللتعبير عن الرفض أوردت مثالًا ذو صلة بالموضوع وأتبعته بالآية الكريمة: ﴿يَا

دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ سورة ص الآية: 26. ولتوضيح الآية –ما لم أقله بالمداخلة وإنما أوضّحه هنا، وفهمها أبو مازن– ونقلًا عن ابن عباس في تفسير القرآن فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله قال: «إن ارتفع لك الخصمان فكان لك في أحدهما هوى، فلا تشتَهِ في نفسك الحق له ليفلج على صاحبه، فإن فعلت محوت اسمك من نبوتي، ثم لا تكون خليفتي ولا أهل كرامتي. فدلّ هذا على بيان وجوب الحكم بالحق، وألا يميل إلى أحد الخصمين لقرابة أو رجاء نفع، أو سبب يقتضي الميل من صحبة أو صداقة، أو غيرهما». أتممت الآية ونظرت في وجه أبو مازن فإذ به يبادلني النظرة ويبتسم ابتسامة خفيفة فهمتها أن الأمر قد فُهِم. وهو أيضًا ما أشار لي به لاحٌقا أحد الأخوة في مكتبه.

3– كان الأخ المفكر والمؤرخ فاضل الربيعي (رحمه الله) قد أصدر العام 2008 كتابه الشهير فلسطين المتخيلة أرض التوراة في اليمن القديم وكتب أخرى وقد طلب مني إعلام الأخ أبو مازن بكتبه الهامة هذه لا سيما وأن دراسات وكُتُب أبو مازن الأولى كانت عن اليهودية والصهيونية فطلبت اللقاء المنفرد معه وهذا ما كان وبحضور الاخوين صائب عريقات وماجد فرج. حَوْصلت كلامي المتسلسل في نقاط 5 أساسية عن فكرة الربيعي فسمِع باهتمام وعندما توقفت عند خمس دقائق تمامًا لعلمي أنه يُحب الاختصار. قال: أكمل وبلا

حدود! فأكملت الساعة وهو يستمع بأناة واهتمام شديد مبديًا اعجابه بما سمع وبالحديث. ثم ما كان من أن تصورنا معًا مع الكتابين.

وللحقيقة فإن مثل هذه اللقاءات الثنائية لم تستمر! وكنت قد توجّست من ذلك حينما قال باللقاء ألا يوجد مَن يفهم مثلك؟ فأُغلق الباب طويلًا من الحاشية كما هو الواقع.

4- في خضم الخلاف بين الأخ ياسر عرفات وبين أبو مازن بقضية رئاسة الوزارة التي تسلمها الاخ محمود عباس كتبت مقالًا أتعرض فيه لأسلوب القيادة والإدارة المختلف بين الرجلين، لا سيما بعد أن التقينا معه ككادر في محاولة للتوفيق، وفي الختام كما هو المتوقع انتصرت لأسلوب أبو عمار الذي اعتدناهُ ما بين شدّ ورخي وإمساك وجذب ولطف ومحبة واتساع مساحة الرأي، وحسبما علمت أن المقال قد وصله ولم يعجبه كما فهمت، إلا أنه لم يكن له التأثير السلبي فيما تلاهُ.

5- في المؤتمر السادس للحركة في بيت لحم لم يعجبني تقصير اللجنة المركزية حيث لم يتم تقديم اللجنة ولو قصاصة ورقة تعبّر عن تقريرها (أنظر عدد السنوات ما بين المؤتمر الخامس عام 1989م إلى السادس عام 2009م)! فوقفت صارخًا في منتصف المؤتمر ورافضًا أن يتم الانتقال للموضوع اللاحق فما كان من الأخ عزام الاحمد إلا أن تقدم ليمنعني من الاستمرار بالجلبة بأوامر أبو مازن وهذا ما كان، إلا أنه بعد

دقائق تم السماح لي ولأخ آخر كان قد صرخ بشان آخر طالبًا الحديث.

6- كتبتُ مقالاً انتقاديًا وبشكل قصصي تحت عنوان: لماذا لا أحبُ السلطان ولا مُنخل الرئيس؟ فاستنفرت بعض الدوائر التزلّفية التي تصوّر للقائد ما يحب أن يسمعه فقط، دون أن تقرع أذنه بالوقائع أو الحقيقة وهي التي تفيض حصريًا بكلمات المديح والتزلف، وعلمت أن المقال وصل الرئيس، وكنتُ متحفزًا للرّد حين السؤال حيث من المفترض برأيي أن النقد الهادىء والرزين للمواقف (وليس لذات الأشخاص)، وخاصة مع عدم ذكر الاسماء يقوّي ولا يُضعِف، واتصل حينها الاخ توفيق الطيراوي عضو اللجنة المركزية للحركة معلنًا تضامنه معي حال حصول أي أمر، ولكن لم يحصل ذلك فكتبت بحرّيتي التي فيها لم يستطِع أحد أن يغلق فمي لا داخل الحركة ولا خارجها وكما هو الحال قبل ذلك حينما كتبتُ ضد كل أوامر الفصل لعدد من قيادات وكوادر الحركة لأنها كلها كانت مخالفة للنظام الداخلي.

7- في خضم المؤتمر السابع لحركة فتح عام 2016 في مقر المقاطعة في رام الله تحدثت مع الاخ أبو مازن وهو على المنصة بموضوع أن يكون الأخوة أبو اللطف وأبو ماهر وأبو الأديب وهم من المؤسسين أعضاء مؤسسين دائمين يتم اقرارهم من المؤتمر كأعضاء لجنة مركزية مؤسسين، بلا انتخابات.

فقال: لا. وتجادلتُ معه وهو على المنصة ثم قمت بالالتفاف خلفه. ولم يفد النقاش حيث أشار بيده أن سنناقش لاحقًا.

وبعد انتهاء الجلسة استدعاني مرافقيه إلى غرفة جانبية كان يجلس فيها، فدخلت وسلّمت وجلست حيث كان من الحضور الأخ ماجد فرج وآخرون، فتحدثت مطولًا عن الأخوة الثلاثة.

وكان رأيه أنه لا يستطيع منعهم من الترشح المباشر، لكنه في ختام اللقاء طلب مني الاتصال بهم، أي أنه وافق على المقترح ولكن بعد أخذ موافقتهم. فقمت بالاتصال وأعلمته بموافقتهم على ذلك.

عاد الرئيس أبو مازن بعد الاستراحة إلى المنصة للجلسة اللاحقة، وأشار لي من البعيد بالموافقة على المقترح، وصعد المنصة وأعلن أن الأخوة الثلاثة أعضاء دائمين مدى الحياة في اللجنة المركزية وبلا انتخابات.

والنقطة هنا التي وددت الإشارة لها أيضًا أن أحد الأخوة انتقدني لماذا أناديه بصفة «أخ» في ذاك اللقاء وغيره، فتعجبت من نقده! متسائلًا: وما كانت الصيغة المطلوبة؟

فقال: عليك مناداته «سيادة الرئيس».

فابتسمت بوجهه وذكرت له -وهو الطارىء على الحركة، رغم أنه وزير- أن صفة «الأخ» الحركية الثورية الفتحوية هي

مفتاح الخطاب في حركة فتح وهو ما تعاملنا به مع الراحل الخالد ياسر عرفات وكل زملائه الكبار هذا أولًا، عوضًا عن أن الاخ أبو مازن ذاته لم يعترض ولم ينكمش في اللقاء عندما خاطبته كأخ مطلقًا فما بالك أنت!؟

كتبتُ هذه المواقف في معرض الرّد على بعض الأصدقاء الذين حاولوا المقارنة بين عدد من الأنظمة العربية، والوضع أو «النظام السياسي» في فلسطين، (تحت الاحتلال) من زاوية حرية القول والنشر والرأي والرأي الآخر أو الديمقراطية (النسبية) حيث أنهم يتباسطون في عرض رأيهم إلى حدّ الإسفاف أحيانًا والإسراف مع أو ضد القائد فلان أو علان (ينقدونه شخصيًا في ذاته، ولا ينقدون رأيه أو موقفه، حيث أنك قد تختلف مع بعضه اليوم وتختلف مع القسم الآخر من رأيه اليوم أو غدًا) ويحجمون أو يجبُنون عن نقد مثيله أو الأدنى منه في البلد الذي يقيمون فيه، وهي ممارسة معروفة حيث يستعيضون عن اللاديمقراطية وعدم وجود الحرية في البلد الذي يقيمون به أو يحملون جنسيته، ويوجهون سهامهم فقط للأطر الفلسطينية والقيادات الفلسطينية بحق أو بلا حق.

ياسر وصهيل الفرح المرّ!

الجماهيرُ الغفيرة التي تواجدت في مجمع رام الله الترويحي ملأت الساحة داخل المجمع وفي الشارع المرتبط به، كما اعتلى الناس المرتفعات المطلّة على المكان أيضًا سواء من فوق التلال الترابية أو البنايات وشرفات البيوت.

الكلّ كان ينتظر مترقبًا دفعة الأسرى المحررين

انها الدفعة ضمن (اتفاق الدوحة) وعددهم 200 وإن كان جزء منهم قد أبعِد، وتم تبديل جزء آخر صبيحة يوم الفرح المرّ، فازداد أهل الأسرى المستبدلة أسماؤهم غمًا على غم. فقتل الإسرائيلي الفرحة ومزقها أشتاتًا بين فرح مطلوب وحزن موجود وتناقض لا يمكنك أن ترى مثله إلا في حالة فلسطين الفريدة بالعالم!

ساعاتٌ ثقيلة مرّت منذ طلوع فجر صباح يوم 2025/1/25م حتى وصول الأسرى بعد الظهيرة في ثلاث حافلات كانت حذِرة الوطء على أرض فلسطين المقدسة، من رام الله بالمسافة القصيرة عادة، والطويلة الثقيلة بهذه المناسبة بين بلدة بيتونيا بمحافظة رام الله والبيرة وصولًا لأرض مجمع رام الله الترويحي (منطقة عين الكرزم، قرب حرش الردّانا) وبالاتصال ضمن منطقة عين مصباح في المدينة الصاخبة.

المسافةُ القصيرة بين بلدة بيتونيا وصولًا إلى منطقة استقبال الأسرى المحررين استغرقت أكثر من ساعتين، وهي بالعادة لا تأخذ إلا عدة دقائق! لسبب الاحتفاء الشعبي الذي واكب الحافلات الثمينة بمحتواها البشري من خروجها البطيء الخطَى حتى الوصول للمساحات التي عجّت بأهالي وأصدقاء وأحبة الأسرى العِظام.

كنتُ متواجدًا مع عائلتي الصغيرة.

وأخي وأختي وعائلاتهما، وأبناء أخي الشهيد عمّار، وعدد من الفروع أو الأحفاد كما الكثرة من أحباء وأصدقاء شقيقي الأسير المحرّر (اليوم) ياسر، وهو ذات الحال مع كافة الأسرى بحيث أن الزحام كان على أشدّه لم يترك لك حرية الحركة، أو النظر حتى من فوق رؤوس الناس.

أنا بالعادة لا أحب الازدحامات أصلًا، وأتجنبها حتى في المناسبات العمومية مثل الأفراح والأتراح وإلى ذلك فإني أتجنب وقوع سيارتي في مصفّ أو مكان قريب مزدحم فأضعها في مكان بعيد جدًا! وإن كنتُ أول الواصلين لعملي منذ السادسة صباحًا.

إلا أن هذا اليوم مختلفٌ.

إنه يوم الحرية، يوم الأبطال، يوم الشموخ هو يوم تحقق حلم طال واستطال واستفاض على جوانبه عبر السنين حُزنًا ثم كمدًا ارتبط مؤخرًا بحجم الشهداء الضحايا في فلسطين

عامة، وفي غزة الأبية وشعبنا الفلسطيني فيها خاصة، والتي فقدنا فيها ما يقارب المائة ألف أو المائتين من أشرف وأنبل وأجمل خِلقَة صنعها الرب على هذه الأرض.

إنهم الفلسطينيون.

الفلسطينيون هم الذين كتبوا تاريخ المنطقة وتاريخ فلسطين منذ مليون عام، وأقاموا الحضارات الكبارية والناطوفية مرورًا بالعصر الحديدي (منذ 20 ألف عام) قبل أن تفترض الأساطير التوراتية فترة لا قيمة لها من التاريخ أنها وجدت هنا. مع كثير رفض من كل ذرّة رمل لهذا التاريخ الخرافي والأسطوري فلم تصرّح أي قطعة من أرض فلسطين بوجود غير العرب الأصليين بكافة مسمياتهم هنا، وبكل أجزاء الجزيرة العربية التي نحن (بلاد الشام) نمثل فيها شمال الجزيرة.

جيئةً وذهابًا بالمساحات الضيقة وبين الأجساد المتراصة ازدحامًا كانت الأفكار تترَى، فهي زادٌ لمن لازاد له.

ياسر في الكويت وياسر في بغداد وياسر في جامعة النجاح وياسر شاهرًا علم فلسطين في وجه الظلم والمحتل، وياسر وأمه، وهو وزوجه، وياسر أسيرًا ل23 عامًا حتى هذه اللحظة المنتظر بها كسر المؤبدات الثلاثة والأعوام الاربعين والشهور الستة من محكومية الظلم الصهيوني واللاقانون المُسلط على رقاب الأمة من نحر فلسطين.

كانت تدهمني شتى الأفكار الأخرى

وأنا في حالة الانتظار، أتنقل بين الحشود المتزاحمة، تارة داخل المجمع الترويحي وتارة في الشارع شارع جاك شيراك، وصولًا إلى شارع حيفا المتقاطع وشارع عين سمعان.

وفي تارة أخرى في المنطقة الترابية القريبة، لا أدري كيف سيكون شعوري أو كيف سأقابل مَن كان بعمر الورد ليعود رجلًا شديد العود! نعم لكنه مع خصلات الشيب والصلع (كما أصابني قبله) قد يعطي الانطباع بخبوّ الحياة فيه، أو كُمون الأمل أو لربما فقدان الحلم!

العشراتُ من الصحفيين ومثلهم من قمرات (كاميرات) التصوير تهمّ بعمل المقابلات مع الأهالي، وما كُنتُ منهم إلا الرافض، فلم أرى بالحدث أن أكون فيه البارز، والأبطال الحقيقيون قادمون.

بعد تعب شديد وانتظار مفزع للنفس، وأفكار تروح وتجيء وتناقل لأخبار بين الناس بوصول الحافلات إلى الشارع الفلاني من مدينة رام الله، ثم الذي يليه محفوفًا بالجماهير الصاخبة يترقب الناس ساعة الوصول بشغف.

حلّ علينا الفجرُ من عتمة النفس متأخرًا

وكأنه كان يعبثُ بليل سخيّ مع صديق كريم أو زوج رحيم أو مستمعًا لصوت رخيم! فنسي موعد الإشراق حتى

التقى بالأسرى الذين أبوا إلا أن يصحَبوا الفجرَ معهم فكانت الإطلالة المهيبة لفوج المحررين من عمالقة الصبر.

تنقلت بقدميّ بين الشوارع والمجمّع، وبنظري وأشتات روحي بين الحافلات الثلاثة ورأيت كل أم أو أخت أو أبن أو صديق حكيم، أو زوجة أو ابنة تنظر حبيبها تصرخ وتهمّ، أو تبكي وتلمّ الحبيب إلى صدرها، مقبّلة بين الضلوع والرؤوس والأيدي، فيما الآخرون فوق الأعناق أو بين الحشود يتّقون سيلَ القُبلات للأجساد الهزيلة التي تشبه الهياكل العظمية (مما أصابهم من تعذيب شديد حتى اللحظات الأخيرة لركوبهم الحافلات كما علمنا لاحقًا)!

لم أتعرف على شقيقي ياسر!

وبالأحرى لم أرهُ حين خرج من الحافلة أساسًا، ولربما كان ذلك رحمةً!

لأنني لو رأيته بعينيّ أنا لما عرفته للوهلة الاولى!

بل رأيته أولًا على قمرة (كاميرا) أحد الأصدقاء من الاعلاميين حين قال لي أرأيت أين ذهب ياسر؟

قلت له وأين هو، لم أرهُ أصلًا!

فأراني صورته بقمرته مرتديًا ثوب العظمة رغم الهزال الشديد (علمت منه لاحقًا أنه فقد من وزنه بالمحنة الأخيرة 50 كيلوغرام).

دخل ياسر دون أن أراهُ من بين الحشود إلى القاعة الداخلية لمجمع رام الله الترويحي وعندما هممتُ بالدخول للقاعة الداخلية نصحني الجميع بعدم فعل ذلك لأن الازدحام فيها خانقٌ جدًا، وأشاروا للانتظار حين خروجه والأسرى المحررين من القاعة إلى الساحة إما إلى بيوتهم، أو إلى سيارات الاسعاف باتجاه المستشفيات لفحصهم.

خرج ياسر مدفوعًا بسرعة التزاحم والحركة من القاعة الداخلية إلى ساحة المجمع.

رأيته يضحك!

رأيته يبتسم برحابة، ومازالت ذات الابتسامة منذ 23 عامًا كما هي لم تتغير!

ابتسامة الحرية.

الحشود تتدافع وتدفعه إلى الأمام...

فصرختُ بكلّ كياني: ياسر

فعرف صوتي رغم انكسار السنين، واختلاف النغمات فالتفتَ إليّ سريعًا من بين التدافع والتزاحم الشديد...

فازداد ضياء حين نظر بوجه السمح المِرحاب

ومال لي، قبّلته مثنى وثلاث ورباع، على عجل.

ومضى إلى سيارة الإسعاف حيث صحبه عاهد ابنه

البطل، وزوجته نغم الخياط المرابطة الصابرة وأخته زينب إلى المستشفى الاستشاري في منطقة الريحان المجاورة لرام الله.

كانت ليلى زوجتي، وميساء وليان ابنتيّ قد سبقتاني إلى المستشفى والتقين جميعًا به في غرفة الطوارىء، حيث رتّب عاهد ابنه المغوار الفحوصات المختلفة، فتريثت للوصول إلى هناك مفترضًا أن أجلب معي بعض المعجّنات السريعة والحلويات لأفاجأ حين الوصول اليه محتضنًا البطل المحرّر أنه تحت الاشراف الطبي لا يجوز أن يأكل لفترة معينة نتيجة سوء التغذية في المعتقل ولضرورات طبية أخرى والاكتفاء بالسوائل والعصائر.

المفأجاة اللاحقة أن الأسرى ولفترة طويلة جدًا من سوء التغذية مُنِعوا عن الفواكه فكان يشتهيها ما علمته لاحقًا، وكنت قد كدتُ أهمّ بشرائها فلم أفعل! لأنني وجدتها لا تليق بالمناسبة في فهمٍ قاصر عن متطلبات الأسير، أو الغائب أو الموجوع أو المريض سيان.

هناك فقط أي في قاعة الطواريء من المستشفى الاستشاري برام الله نظرتُ اليه، وتأملته جيدًا: بناءٌ جسمي ضخم (هكذا كان) طويل مفرود الظهر (هكذا كان) قد استحال بهزاله إلى عظام نافرة أكثر منها لحم يكسو عظمًا.

في غرفة الأشعة بالتحديد التقينا دقائق بين القبلات على اليدين والرأس والأحضان، وبضعة كلمات مثلت زمنًا طويلًا

من عتبات لم أكن أقربها أبدًا، كي لا أحبط أو أصدم! أي عتبات الشوق ونزيفُ الروح الذي صاحبني وكل أحبائه وأصدقائه الكُثُر بما لا يسعنا من ألم وترقب، وحلم بدى مستحيلًا!

تحقق الحلم أخيرًا.

ياسر أبو بكر حُرًّا.

لم تقصّر محافظة رام الله والبيرة الاهتمام الرائع بالأسرى ومنهم الأسرى المحررين وكذلك نادي الاسير وهيئة شؤون الأسرى وكافة طواقم عمل السلطة الوطنية الفلسطينية المدنية والامنية فكانوا على مدار الساعة يتابعون الحدث، ومنه أن قامت المحافظة برئاسة الأخت ليلى غنام بحجز غرف في فنادق رام الله للمحررين من الأسرى ليبيتوا ليلتهم راحة بعد سنوات طوال كانوا يفترشون فيها الأرض متمنين رؤية سماء الحرية ونور الاشتياق وزهور فلسطين.

وفي نفس الوقت لأن رام الله وكل القرى والمدن مغلقة ومسوّرة ومحاصرة ب898 حاجز وبوابة حديدية (زاد عددها منذ المباغتة في 10/7) تفعّل ليلًا بشكل محكم أكثر من أوقات الضياء، وفي أحيان أخرى بلا أوقات محددة فأحالت حال الناس بالضفة إلى جحيم، وفي غزة إلى جحيم مقيم آخر.

لا ننسى الشكرَ كل الشكر -وهذا مقام شكر لا مقام اختلاف- لكل من ساهم بإخراج الأسرى من ارتهان يومهم وليلهم للسجان، ممن نُحبهم وإن خالفناهم بالرأي، شكرًا لكم

كل الشكر.

شكرًا لهم، وندعو لهم وإن انتقدناهم بحق النقد وسنواصل.

نتمنى لهم فسيح الفكر لا ضيق الأفق، وبسط اليد لا قبضها، وسِعة الصدر لا التحجّر الفكراني (الأيديولوجي)، والاعتراف لا الانغلاق. ونتمنى لهم تفعيل معنى المحبة للمختلِف لا لفظه وتشويهه واتهامه وتكفيره أو تخوينه، كما نتمنى لهم رفع مشعل الوحدة والوطنية وبسط الوجوه إزاء الاخوة لا إدارة الظهر، والله المستعان.

في الفندق حيث انتقل ياسر بسيارة الاسعاف بعد الفحوصات أدخلته إدارة الفندق لغرفته المحجوزة، وتم إغلاق حالة الوصول اليه من الثالثة عصرًا حتى السابعة مساء أين تم فتح قاعة الاستقبال في الطابق الأرضي من الفندق لنشهد فيها وجوه المحبين النيّرة يحفوّن بياسر رسميًا وشعبيًا، وحركيًا ومن الكوادر الوطنية كافة.

لم تعتد أمّه على فراقه طويلًا، وهي التي واظبت قبل أن يُقعدها المرض على زيارته بالمعتقل، وكما زوجته المعطاءة، وذلك كلما سنحت الفرصة مع معيقات السجان الكثيرة.

والدته اليوم لم ترى اللحظة التي انتظرتها طويلًا، فهي هناك في الأردن لم يطلها من رؤيته المباشرة إلا الاتصال المرئي، وحنفية الدموع التي انهمرت لرؤيته عن بُعد.

لم تستطع أخواته وأخوته الأشقاء خارج فلسطين أن يروه بالطبع وكذلك ابناؤهم والأحفاد، والأصدقاء بالخارج، ولم يستطِع شقيقة عمار الذي استشهد في مدينة جنين، بذات فترة اعتقال ياسر في نابلس عام 2002 أن يراهُ فهو أي عمّار اليوم جسدٌ مسجى تحت الثرى في مقبرة جنين، بينما دماغه الذي وجدوه بعد بضعة أيام وعرفوه من طاقيته قد دفن مع أبيه وعمّه في قرية رمانة من قرى محافظة جنين، أخت مدينة حيفا بلد والدنا محمود علي أبو بكر، وبلدنا.

كنت أفكر كيف أننا كأخوة نحتفظ بالأسماء الإسلامية والوطنية معًا ما يجعل من الإسلاميين والوطنيين (أو القوميين) قميصٌ واحدٌ بالحقيقة، وهو ما ارتدته الحركة التي انتمينا اليها من أجل فلسطين، وما مزّقه إلا الحزبيون الاقصائيون المتفيقهون، ففينا كأبناء الفهيم المبدع محمود أبو بكر كل من: بكر وعلي وعمر، وفينا ياسر وعمار وسعد. غير الأخوات بذات الاتجاه. وما الشعب العربي الفلسطيني إلا نسيج مسلم ومسيحي واحد ضمن حضارة جامعة لا تفرق ولا تُقصي.

قال تعالى ﴿وَبَشِّرْ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُهْتَدُونَ﴾ (سورة البقرة الآية: 155-157).

«لن نفرح ولن نحتفل» هذا ما قاله شقيقي ياسر وكرّره،

مضيفًا «وكيف لنا ذلك في ظل الأكرم منا جميعًا (أي الشهداء) الذين ارتقوا في سبيل الوطن في قطاع غزة وبالضفة رحمهم الله أجمعين، ورحمنا معهم».

هكذا قال معبرًا رافضًا كل مظاهر الاحتفال، أو الفرح المبالغ فيه، احترامًا وتقديرًا وحزنًا على من شاء أن يكرّر وصفهم (الأكرم منا جميعًا) في رؤية عميقة، وفهم يتخطى الزمن حينما تختلط المشاعر وتتقاتل بتناقضاتها في مساحة واحدة لا تعرف أيها تختار، فكان من المهتدين، وكان صهيل الفرح المرّ.

لقد اختار هو من المشاعر المتدافعة حق الآخرين على حقه، فكان في صهيل فرحه المرّ يستحضر الحزن العظيم، والتقدير والاحترام المطلوب لارتقاء الشهداء، والمواساة لنجاة الناجين من المقتلة أو المَهلَكة في قطاع غزة المنكوب أساسًا، مقدمًا على الفرح الفائض حتى فرح أسير المؤبدات، وعلى فرج وفرح قد بدا في كثير من الأحايين بعيدًا. ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ سورة يوسف الآية: 12، و﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (سورة النمل الآية: 59).

فلسطين-27/1/2025م.

أحمد الدبش يعتمر الحقيقة

الكاتب والمؤرخ والصديق الأستاذ أحمد الدبش يعتذر صراحة عن سلسلة من دراساته وكتبه التاريخية السالفة، حين اكتشف بعد عميق تفكر وتأمل ودراسة متجددة عدم الدقة في بعض الملامح وغموض الإشارات وضعف الأسانيد، وبالأخص عدم التطابق بين أحداث تاريخية سلفت وعلم الآثار.

الاخ أحمد الدبش الذي التزم الأمانة العلمية دربًا له، -تتفق مع أطروحاته أم تختلف- وقف مع الحق والحقيقة فقط منتصبًا، وليعلن على الملأ وبنفسه سقوط أطروحته القديمة، وبالحقيقة أطروحة آخرين ممن لم يذكرهم أيضًا، وألقى كل الملامة على أبحاثه هو فقط بشموخ العالم الذي لا ينحني إلا للحقيقة فيعتمرها.

كل التحية والمحبة وشديد الاحترام لهكذا عالم ذكرني -وعلى العكس من موقفه هذا- بمن ذهبنا له (أستاذ تاريخ جامعي) لنشعره بوجود تاريخ لفلسطين يُقرأ بطريقة مختلفة مفترضين أننا سندخل في حلقة نقاش، فإذ به يصدمنا بالقول: هل تريدونني أن ألغي كل ما درّسته لطلابي من 40 عامًا؟ إنه العناد والتحجر الذي لا يقبل بضوء نور جديد، وليس كما فعل عكسه الدبش.

في تاريخ فلسطين القديم في العصرين البرونزي والحديدي

منذ 10 آلاف عام الكثير من الأحبار الجديدة والقديمة التي سالت، لكن البارز كان أن ما تسمى التوراة (التناخ) لم تصلح مطلقًا كدليل تاريخي اليوم، إلا عند الذين سيّسوا التوراة لأهداف استعمارية حالية وفي الحد الأدنى منذ القرن الثامن عشر، وغزو فلسطين العربية.

الكهنة كتاب التوراة القدماء اختلقوا عديد الأحداث التي تُعدّ بالمئات، أو نسخوها من أمم أخرى ليسقطوها على قبيلتهم المقدسة (بني إسرائيل) أو بنوا على أحداث قائمة لا تشكل ربما 10 % من المضمون أو الحدث، وكأن الدنيا آنذاك تشكلت حول هذه القبيلة المندثرة اليوم، مع العلم أن فلسطين كان بها 40 إقليما جغرافيا ب40 مشيخة (إمارة/مملكة) قديمة، أي عشرات القبائل وليس فقط قبيلتهم الغابرة (يراجع الماضي العصيّ لتوماس تومسون، ومصالحة وابو عامر وسخنيني).

الكهنة من كتاب التوراة نسجوا من خيالاتهم وأساطير الاقدمين والأمم والممالك المجاورة، ومن الأشعار والمرويات كتابًا كما تخيلوه هم، أو كما أملوا أن يكون مما يعجّ بالمقبول والمرفوض قيميا، وبالكثير مما لم يثبت علميًا خاصة بسياق الممالك (المشيخات) التي كانت قائمة في فلسطين وخرافات الهيكل المزعوم وغيره.

تجد في التناخ (التوراة بأقسامها الثلاثة) مساحات كبيرة من الخرافة والأسطورة والآمال والأحلام والرغبات السياسية

ليس كما أقول أنا فقط وإنما كما قال المؤرخ الإسرائيلي إسرائيل فنكلستاين ونيل أشر سبيلبرغ، وزئيف هرتزوغ كمثال، وكما قال أيضا العالم الدنماركي توماس تومسون وغيرهم الكثير.

لم تعد التناخ اليوم تشكل مصدراً تاريخيا محترمًا، فهي لا تتحصل على أدنى درجات الأمانة العلمية، والمدرسة التوراتية تتهاوى أمام صمود المدرسة الدنماركية التي تعيد بناء تاريخ فلسطين الحقيقي، ومدارس أخرى. كما تهاوت أمام المدرسة اليمنية (أن مسرح أحداث التوراة في اليمن القديم)، التي يعلن اليوم أحمد الدبش انسحابه منها لسبب عدم مطابقة الأحداث من زاوية الأداة العلمية (أي علم الآثار) لما ورد من خرافات بالتوراة لا في فلسطين ولا في اليمن، ولا في البرازيل.

يخوض المسلمون كما يخوض المسيحيون وأحرار العالم، ويخوض العرب عامة كما يخوض العرب الفلسطينيون حربًا ضروسًا ضد الرواية التناخية (التوراة بأقسامها الثلاثة) الأسطورية التي يحاول سياسيو ومتدينو وعنصريو الكيان الصهيوني إظهارها كحقيقة تاريخية! ويفشلون منذ 100 عام حتى اليوم.

معظم العلماء اليوم يعتبرون التناخ (التوراة) كتاب ديني، وليس كتابًا تاريخيًا، وهو أقرب لوصفة ككتاب أدبي قصصي شعري وليس تاريخي.

عمدت المدرسة التاريخية التوراتية على استخدام الكتاب

الديني/الادبي بإشعال الادعاءات المكانية الجغرافية في فلسطين، وكأنها (وقف ديني) لهم! وهي الادعاءات التي تلبس اليوم ثوبًا استعماريا احتلاليًا زاهيا تحت اسم «اسرائيل» وبمحاولة عكس الاسم الحالي كأنه امتداد لإسرائيل القديمة المندثرة، وشتان قَبَليّا وعِرقيا وإثنيا بين محتلي فلسطين اليوم وأولئك القدماء من القبيلة المندثرة.

الرواية التاريخية المحققة لتاريخ فلسطين سواء من أصحاب المدرسة الجغرافية (اليمن أم فلسطين، أم غيرها) أو المدرسة اللاتوراتية الدنماركية تتقاطع كلها في كشف الاستخدام والتوظيف الاستعماري السياسي البغيض للسيطرة على العالم العربي من بوابة فلسطين، وهي تأتي بالأسانيد العلمية والآثارية التاريخية في إطار تكذيب المسار الاستعماري الأوربي الذي اتخذ من مقارنات التاريخ المختلقة منصة للتخلص من يهودهم أي يهود أوربا من جهة، وتقسيم العالم العربي، وفي تحامق الانجيلية المسيحية الصهيونية بقذف الأوربيين اليهود أساسًا في فلسطين انتظارا لمسيحهم الموعود.

يقول الإمام الشافعي المكي الفلسطيني الغزي:

أَخي لَن تَنالَ العِلمَ إِلّا بِسِتَّةٍ
سَأُنبيكَ عَن تَفصيلِها بِبَيانِ
ذَكاءٌ وَحِرصٌ وَاِجتِهادٌ وَبُلغَةٌ

وَصُحبَةُ أُستاذٍ وَطولُ زَمانِ

في دراسة علمية للأستاذين في علم النفس بجامعة الأقصى في غزة د. منير أبو الجديان ود. ديبة الزين وجدا من صفات العالم في الشافعي الكثير كان منها أولًا وبنسبة طاغية الأمانة العلمية –كما حال نموذجنا اليوم أحمد الدبش– إذ كانت ضمن تحليلهم العلمي لكتبه تشكل لديه 53 % بينما البلاغة 27,6 % وهكذا بالنقاط الأخرى.

ختامًا دعوني أوجه كل المحبة والاحترام للأخ الأستاذ والصديق الباحث الكبير أحمد الدبش، فهو إذ يعتذر يكبر، وهو إذ يتبين ويصحح ويلتزم الامانة العلمية كما رآها يبرز بثياب العالم الحقيقي، وكما قال سيد الخلق ﷺ (الكيّس من دان نفسه).

محمد قاروط والإثراء

يقدم الأخ محمد قاروط أبو رحمه في كتابه عن التدريب خلاصة تجربة طويلة خاضها في مجال إعداد الكوادر والتدريب في مساحات مختلفة رسمية وطنية، وتنظيمية في إطار حركة فتح. وفيه يجعل من مهمة التربية أو التثقيف والإعداد والتدريب السياسي والتنظيمي مهمة ذاتية لكل فرد من جهة ومهمة للإطار التنظيمي.

بل وهي مهمة على عاتق المسؤول (القائد) التنظيمي الذي يجب أن يسعى لاستثمار قدرات الأعضاء تحت إمرته، واكتشاف طاقاتهم الكامنة وفهمها والسعي لتطويرها بما يكفل رفع الكفاءة والاندماج للأعضاء في العمل التنظيمي الجماعي.

يرى الكاتب ضرورة التفكير في كل محطة من محطات العمل السياسي والتنظيمي في طبيعة الأفكار والقيم السائدة، وفي طبيعة الاتصالات القائمة في الحياة التنظيمية. وأيضًا النظر في بنية الثقافة التنظيمية الداخلية، تلك الثقافة التي تظهر بحجم التأثير وطبيعة السلوكيات للأعضاء أفرادًا وجماعة، وبالتالي تقييمها ونقدها ثم معالجتها بما يكفل «رفع كفاءة وقدرات الكوادر والأعضاء (أعضاء الجسم التنظيمي)، وذلك عن طريق وضع السياسات والبرامج الخاصة بتدريبهم، وتنويع وتعزيز

ثقافتهم وإعدادهم لممارسة واجباتهم ومهامهم. ممارسة تقوم على أساس معرفي وعملي سليم وذلك لتحقيق أكبر قدر ممكن من العمل بأقل جهد وأقل وقت وأقل تكلفة».

القسمان الرئيسيان للكتاب يعالجان أفكارًا تثقيفية إعدادية تدريبية تتكامل معًا في فكرة ضرورة التثقيف والتدريب وتحسين الاتصالات الداخلية، وفي ضرورة تحقيق الاتزان بين متطلبات الشخص والمجموع أو الأنا والنحن.

للتدريب أو التكوين أو إعداد الكادر تعريفات عدة تطرق لها الكاتب والتي منها أن التدريب والتثقيف هو جهد مخطط ومنظم ومستمر لتزويد الأعضاء والكوادر الحركية، أو الأشخاص عامة في أي منظمة أو جماعة، بالمعارف والمهارات والخبرات والاتجاهات التي تساهم في تغيير أو تطوير أو تعديل قيم وسلوك اعضاء التنظيم، وتقليص الأخطاء، وتحقيق العمل بكفاءة أفضل.

إن مهمة التدريب أو إعداد الكوادر لا تتوقف عند حد المحاضرة أو الندوة أو الورشة أو حتى الدورة، وإنما يقفز الكاتب ليرى بالتدريب على رأس العمل، أو التدريب العملي أو التدريب الميداني -على مختلف المسميات- يراه ضروريًا وأساسيًا سواء كان عبر الاجتماع التنظيمي الدوري الذي يتضمن البند التثقيفي الدوري أو بالتطبيق العملي أثناء أداء الواجب، إضافة لأي فعاليات داخلية تثقيفية لكل إطار في

السلم (الهيكل) التنظيمي لأي مؤسسة.

إعداد المدرب المتمرس وفكرة البرنامج التدريبي وكل ما له صلة به يتعرض لها، كما الحال في معادلة الاتزان التي يركز عليها محددًا المصادر والأدوار والعلاقات بما يحقق نجاح الفكرة وإحداث التغيير.

يأتي هذا الكتاب كإغناء للمكتبة الثقافية لحركة فتح وأكاديمية فتح الفكرية أكاديمية الشهيد عثمان أبو غربية التي يمثل الأخ محمد قاروط أبو رحمه عضوا أساسًا في مجلس إدارتها، ويضيف إضافات مشهودة إلى عدد من الدراسات والكتيبات التي أصدرتها الأكاديمية حول الموضوع، وكما هو الأمر ما يمثل إضافة أيضًا للمكتبة التنموية البشرية الإدارية العامة وفق رؤية ونظرة متمرس بالتكوين والإعداد والتدريب.

المحامي علي أبو حبلة فكر وطني ونفس طويل

المحامي علي أبو حبلة عضو ومؤسس في مركز الانطلاقة للدراسات وهو صحفي وكاتب وباحث فلسطيني ومناضل له الباع الطويل في العمل الوطني الفلسطيني. كما الحال في نطاق الاعلام والصحافة والثقافة والفكر والسياسة وهو رئيس تحرير موقع ومجلة أفاق فلسطينية، وأيضًا مدير التحرير في صحيفة صوت العروبة.

وقد دأب أبو حبله المقيم في فلسطين على نقد الاوضاع الفلسطينية لغرض تحقيق النهضوية والاصلاح والتقدم، وما جاء تركيزه على إشارات واضحة في السياق الوطني العام ومنه الفصائلي إلا لخدمة غرض أولوية قضية فلسطين من جهة، ولتحقيق مبتغاه الأول بتوحيد الصوت والراية والخطاب الفلسطيني. وفي إطار الدعم العربي حيث لا فلسطين بلا أمة عربية ولا أمة بلا فلسطين.

المحامي اللبق أبو حبله بتعرضه للعديد من السلبيات أو النواقص أو الانتقادات في أداء أو مواقف السلطة الوطنية الفلسطينية أو الفصائل أو المؤسسات الوطنية ينهل من بحر عقله الناقد وبأسلوب الاحترام المرتبط بفن الاختلاف والحوار،

وعفة اللسان حين التناقض ومن بحر الانتماء الحضاري للأمة العربية الإسلامية، بالاسهامات المسيحية المشرقية، وبحرها الواسع الذي يعترف بالاختلاف ويقر بالحوار والنقاش وسيلة وحيدة للتقارب والتفاهم أو عرض الأمر على أوجهه بعيدًا عن مفهوم التدابر وإدارة الظهر والتباغض وما يجر معه إلى العداء.

يقوم الكاتب منذ صبيحة يومه بعد صلاة الفجر بالذهاب إلى مكتبه أو عرينه في مدينة طولكرم الأبية التي تتعرض ومخيميها هذه الأيام لحملة صهيونية شرسة من التدمير والقتل والتخريب والعدوان الهمجي (بما لا يقارن بالطبع مع الحال الموجوع مع قطاع غزة المنتكس والمنكوب، وبما يقارن بالحال مع باقي المخيمات بالضفة الفلسطينية خاصة في جنين) وما أن يصل بصعوبة المارّ بين الأشواك –إنها الأشواك التي لطالما تحدث عنها الراحل الخالد ياسر عرفات حين قال أنه يسير متعرجًا بين الأشواك أو في حقل من الألغام بالسياسة والعمل الثوري والدبلوماسي– فيصل ليجلس متفقدًا الصحف والمواقع والمصادر الاعلامية والخبرية الموثوقة والدراسات والأبحاث، ليقارن ويطلع ويتفهم ويسبغ عليها من وعيه العلمي وذاك الثوري، ومن دراسته للقانون ونضاله الوطني في نسيج نتيجة تتجلى بمقابلة مرئية أو صوتية، أو بشكل مقال أو إعداد دراسة أو ورقة ثرية هي في غالب الأحيان تلقى القبول لدى أصحاب الشأن (أو المقصودين بالإشارة لهم ما بين السطور)

ممن يفهون معنى الاختلاف وقوته لهم، وممن لا يبتعدون عن الآخر لمجرد النقد.

إن مقالات الأستاذ الصديق المحامي علي أبو حبله (أو بعضها) بالمقابل قد تلقي الإعراض أو عدم التقبل وربما الرفض الغادر من فئة المعوقين أو المتقوقعين في أسر عقولهم الضيقة، وعدم قدرتهم على مغادرة منطقة الراحة والاطمئنان الأبدي لما يفعلونه أو لا يفعلونه! لا يطيقون هزًا لما يظنوه عروشهم أو أفكارهم البليدة (المنزّهة) أو البالية والمتحجرة.

الأخ والصديق على أبو حبله شاركنا في تأسيس وإطلاق مركز الانطلاقة للدراسات أيضًا وهو إلى عمله اليومي ذو الديمومة بالسياق الكتابي أو باللقاءات مناضل وطني بارز، بل وعروبي لا يرى بالعقل الغربي الاستهلاكي الاستخرابي (الاستعماري) العنصري الاستغلالي المتخم بالسيطرة إلا مدخلًا ومحفزًا لهذه الأمة للمزيد من التضامن لتضع اسمها ثانية على منصة الخطابة والسمو في مؤتمرات العلم والتقانة (التكنولوجيا) والفكر والثقافة المتميزة. ولا ينظر لأي عربي أو مناصر من أي جنسية أو دين كان إلا من زاوية مدى اقترابه من فلسطين وقضيتها التي هي فوق كل الاكلاف وكل الأحزاب والفصائل.

كل التحية للاخ الأستاذ المحامي علي أبو حبله وما يخطه قلمه السيال الجميل، وانها للثورة حتى النصر

مع أبو إسلام أنت تحت الظلال

من الممتع والمثير القراءة لداعية وكاتب وخطيب ومفكر فلسطيني يختزن من التجارب ما استطاع فيه أن يعكس شخصيته الصلبة على رؤيته للأحداث ومسارات العواصف.

وهو إذ ينطلق من حسّ وطني قومي ممزوج بخلفيته الدينية الإسلامية الرحبة فإنك تجد أمامك سيلًا من الافكار التي يضعها بين يديك وأمام ناظريك للتفكر معه والتأمل ولا يأخذك بعيدًا في المنطقة المحشورة ما بين أن تتفق معه وإلا فأنت ضمن طغمة الأعداء.

أن يكون الداعية الشهير الأخ زهير الدبعي أبو إسلام منفتحًا على مختلف الآراء فإن بذلك ليس دلالة فقط على تحرر العقل من قيود النمطية والحزبية والإقصائية والمطلقية الفكرية، وإنما هو الدلالة أيضًا على البنية الفكرية الصلبة حيث تقع الإيمانيات الدينية، والمرنة حيث المواقف والآراء مثل تعدد الأنفاس بين تقطع وحشرجات وشهيق وزفير.

صلابة المرجعية الفكرية لا تؤثر بها العواصف فالشجرة الطيبة المرتبطة بالإسلام الذي انغرس في قلب أبو إسلام كان منه الثمرات على تنوعها ما بين الرحابة والتقبل والتجاور ورفض الإرهاب الفكري تحت أي مسمى كان.

في كتاب أبو إسلام تتجول ما بين الأحداث والمواقف والتاريخ الممزوج برؤية للكاتب وبخلفية لا يخطئها القاري ذات طبيعة إسلامية متدينة، وبما يتوافق بوضوح مع الوطنية التي وجدت مقعدها إلى جوار الشجرة فأخذت منها وقطفت الثمار، ونمت وترعرعت.

في هذا الكتاب حيث التنقل بين الماضي والحاضر وآفاق المستقبل يطل أبو إسلام حول تاريخنا الفلسطيني بما هو مملوء بالتقدم والتراجع والإخفاقات والانجازات، فكيف لك أن تقفز عن النكبة أو النكسة ولا تعالجهما أو تتطرق لهما من أي زاوية شئت وصولا للثورة الفلسطينية والانتفاضة والمقاومة المسلحة منه واللاعنفية أو السلمية.

يحدد أبو إسلام أراءه في الكثير من المواضيع التي منها مازالت صعبة النظر لها بمنطق اليُسر والرحابة والتقبل للاختلاف مثل المقاومة والجهاد والدعوة والتفكير وفتنة السلاح ...إلخ، ولك أن تناقشه فيما يقول فتقبل ما تشاء أو تعدل أو ترفض فهو جالس في مساحة الرحابة تحت الظلال الوارفة، وليس في مساحة الانحشار في صندوق القوالب المصبوبة

إن تقوم بدور الداعية والمناضل الديني والمجتمعي والسياسي المثقف لهو عمل صعب وشاق جدًا ولا يستطيعه إلا القلة والذين منهم زهير الدبعي.

كل المحبة والاحترام وشديد التقدير.

د. أحمد رفيق عوض والسيد البدوي ما بين البكاء والضحك

هناك القليل من الكتب التي تجعلك تبكي، ومنها القليل الذي يجعلك تضحك، والكثير منها الذي قد يثير فيك التعجب أو الدهشة أو الاستياء في مواضع.

وفي الكثير من الكتب قد تجد الملل والجفوة والرغبة في تمزيق الكتاب. ولكن أن تجد كتابًا يثير فيك الكثير من الأفكار، ومن الأحاسيس المتناقضة الكثير فهو لا شك سيكون كتابًا متميزًا ويشجع على متعة القراءة في ظل انكشاف أمر الكتاب الذي بات لا يشكل أي جاذبية أو تأثيرًا خاصة للقاريء العربي للأسف، لا سيما وأن سنوات الشابكة ومواقع التواصل الاجتماعي والتطبيقات الناشئة وعديد المقاطع المرئية قد قضت أو توشك أن تقضي على فكرة القراءة العميقة التي تجمع ما بين الفهم والمتعة معًا.

مقدمة

من الكتب التي أحاطت بي من كل الجوانب، تلك في زمن القراءة المتفحصة فترة الجامعة وما قبلها وتلك التي بعدها وهي كثيرة، وقد أفرد لها مقالًا آخر إن قدر لنا المولى عز وجل ذلك.

أما ما كان من مراحل قريبة فيمكنني ذكر مجموعة من القصص التي اتخذت من المسار التاريخي حجّة على الواقع وبرسائل شتى، ومنحتني الاحساسيْن المتضاربين بين البكاء والضحك وهي كالتالي

رواية الحرب الصليبية لأمين المعلوف

كتاب التطهير العرقي لإيلان بابيه

رواية المخطوط القرمزي، يوميات أبى عبد الله الصغير آخر ملوك الأندلس لأنطونيو غالا

رواية قناديل ملك الجليل للمؤلف إبراهيم نصر الله

ومؤخرًا وما سأتحدث عنها رواية الصوفي والقصر سيرة ممكنة للسيد البدوي.

لماذا أقول يُضحك ويُبكي لأن مجموع التناقضات المثارة داخل الكتب المذكورة ما بين التاريخ وتشابه أجزاء كثيرة منه مع الواقع المُعاش والتفكير بما مضى بعقلية اليوم أو العكس، والنظر من زوايا ما فهمناه لاحٌقا عندما بحثنا وقرأنا وأدركنا يجعل من النظر في الكتب ذات الاطلالة التاريخية الحكيمة أعلاه ذات أهمية تفوق حقيقة السرد أو القص كما في التطهير العرقي أو القصة والرواية في الباقي.

من «الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ» إلى د. أحمد رفيق عوض

كتبت كتيبًا حول زمن الرويبضة الحالي، وحالة التتبيع

للإسرائيلي (هو ليس تطبيع قط، وإنما استتباع وتتبيع للمهيمن الصهيوني) متسيدًا للمنطقة منذ صدم الرئيس الامريكي المختل «ترامب» العالم بطروحاته والتي منها صفعة العصر أو القرن عام 2019م والتي أفشلتها فلسطين والاحرار.

ثم أعدت اليوم في عام النكبة الثانية و(مجزرة صبرا وشاتيلا اليومية) في قطاع غزة للعامين الكئيبين 2023-2024م الإضاءة على جزء من الكتيب -المتعلق بشخصيات سجلها التاريخ في قائمة المفرطين- وذلك تحت عنوان: «الملك السعيد» وبدر الدين لؤلؤ! وهما شخصيتان مثاليتان بالعمل الحثيث للحفاظ على السلطان والهيلمان والأنا العليا على حساب الأرض والأمة وعلى حساب الشعب الذي ما هو إلا فداء للملك أو الأمير أو الإمام أو القائد!

نشر المقال جاء في خضم عدوان صهيوني شرس ضد فلسطين من بوابة غزة أولًا ثم من بوابة الضفة الغربية وضد الإنسانية جمعاء واتصل بي عدد من الأخوة يستفسرون عن الشخصيات التاريخية المذكورة باستثناء المفكر والأديب والروائي د. أحمد رفيق عوض الذي أشار لضرورة قراءة كتابه المعنون: الصوفي والقصر سيرة ممكنة للسيد البدوي.

كان إصرار الأخ أحمد رفيق عوض على أن أضع أولوية قراءة كتابه/روايته الصادر بطبعته الأولى عن دار الشروق عام 2017م في محلّه -ما اكتشفته من قراءة الكتاب لاحقًا-

ليس فقط لورود الاسمين في مقالي في سياق روايته، وإنما لأنهما وشخصيات وأحداث وحوارات أخرى بالكتاب شكلت مفتاح التواصل للنظر المشترك في عصر المحن والفتن والنكبات التي مرت على الأمة إبان «السيرة الممكنة» أو المحتملة «للسيد البدوي» التي تلتقط منها الكثير المتشابه من سلوكيات وأفكار ومضامين وأحداث وتأملات ومقارنات ذات صلة بالواقع المزري اليوم.

لم يكن المتسمي الملك الرحيم رحيمًا، ولا كان الملك السعيد مهتما بسعادة شعبه، كما الحال مع ملوك وامراء وقادة وأئمة كُثُر جال عوض بالحديث عنهم في خضم كتابه المؤلم والمحزن من جهة ما سطّره من مواقف يندى لها الجبين من جهة.

ولكنه المفرج من جهة حين الإشارة لأدوار المفكرين والدعاة وقيادات المجتمع والمثقفين بأفكارهم وأنوارهم ونزعتهم الإيمانية والتحريضية على العمل وبذات الوقت التفاؤلية والذين كان منهم على سبيل المثال في الرواية العز بن عبد السلام والسيد أحمد البدوي وعبد القادر الجيلاني، والإمام الغزالي...

سأحاول الإشارة لبعض المفاهيم التي لفتت نظري من الرواية الجميلة بحق من حيث السبك والعرض.

فالكاتب واحد من أهم كُتاب الرواية في فلسطين في ظني، ولربما في العالم العربي أيضًا إن جاز لي أن أضع أسماء كل

من يحيى يخلف، ووليد أبو بكر وابراهيم نصر الله في سياق الكبار ممن قرأت لهم بالرواية وربما آخرون ممن لم أسعد بالإطلاع على رواياتهم لتقصير مني.

رواية ومفاهيم وأفكار

الفكرة الأولى هي الاستعراض التاريخي القصصي من خلال رواية محتملة لجولة السيد المتصوف أحمد البدوي عبر الأمصار والبلدان، وما رأى فيها من تنوع سواء في البيئة الطبيعية وحياة الناس أو في طريقة العيش والتعبير عن كل بلد أو فئة اجتماعية ما يأسرك ويلزمك بالمقارنة ما بين بغداد وحلب ونابلس والموصل وغزة ومكة ومصر وغيرها اليوم وبالأمس. فأحوال الناس متغيرة وبلدانهم ثابتة المكان والهيئة العامة أبد الدهر مهما تتابع عليها من الغزاة أو الفاتحين، أو الأشرار والعظماء الكثير.

أما الفكرة الثانية فكانت بالنسبة لي هي مساحات الحوار الشيق بقلم المؤلف وروحه بين العقول حيث يدخل فيها الصوفي المعروف -والمختلف على سيرته وتصنيفه بكتب التاريخ- السيد أحمد البدوي الذي استقر به المقام أخيرًا في طنطا من مدن مصر، وبين الآخرين ممن توافقوا مع حاله أو اختلفوا، ما يجعل من الاطلاع على هذه الحوارات في الكتاب وهي ممكنة أو محتملة بقلم الكاتب ضرورة لمن يبتغي النور

والضياء أو التعلم وأخذ العبرة.

الفكرة الثالثة كانت الاطلالة على حجم الصراع الفكري والقيمي و«علم القلب وعلم الكتاب»، والخلاف والاختلاف بين السلطة أو السلطان والحكم وأهله من جهة. وبين أهل الرأي والعقل مقابل أهل البرهان أو الباطن والعرفان والروح من الدعاة المؤمنين والمصلحين والصوفيين أو بالتعبيرات الحديثة «المثقفين»، وما يخالط هذا التنازع أو الصراع من تقبل أو رفض وجدال وحوارات ونقاشات مضنية قد تُفضي لتوافقات أو منازعات وربما أحقاد واتهامات. ولكن بجميع الأحوال حين المقارنة مع عصور الظلام الوسطى لدى الأوربيين آنذاك فإنها تمثل حقبة زاهرة ومفرحة من حقب الأمة العربية والإسلامية في هذا الجانب. أما مع واقع اليوم فهو المبكي هنا.

الفكرة الرابعة هي حجم الاحتراب والاقتتال والعداء بين ممالك وإمارات و«دول» الأمة وزعمائها في ظل أحذية عساكر الأجنبي الغازي والمحتل للديار من الفرنجة والتتار، والذين بدلًا من الوحدة المفترضة «الممكنة» في وجوههم كانت نزاعات الملوك (في العراق والشام أساسًا بالرواية) والفتن والفساد والإفساد هي ما يواجهون به الغزاة ومن خلال التحالف مع هذا المحتل أو ذاك الغازي وضد بعضهم البعض ما يجدون له كثير تبرير.

وهنا يتعملق الحزن، ويكبر الفرح أيضًا! فلربما تكون

قد اكتشفت أن الجديد له قديم! فلا تيأس وكُن متفائلًا، فلك الأسوة السيئة المطلوب منك أخذ العبرة منها وعدم تكرارها!

لا يغرنّك عظمة الألقاب التي لا معنى لها مثل الملك الأشرف والملك الكامل والملك الصالح والملك الرحيم والملك المعظم والخليفة الناصر ...إلخ، فمنهم من لا يملك من أمره شيئًا أو هو «خيال مآتة» كما يقول اخواننا المصريون بالعامية، ومنهم من تحول لألعوبة النساء أو الغلمان والخصيان (أنظر المغنية دلال والأخرى وصال والمخنث باسم في قصور بغداد) أو الأجانب داخل القصر. ومنهم الذي أعاد تسليم القدس للفرنجة فداء لملكه، بعد أن افتكها عمّه صلاح الدين الأيوبي بسيفه، ومنهم من ترك مملكته لهم يصولون ويجولون بين شوارعها ومحلاتها وبيوتها والأزقة فهي ألقاب مملكة في غير موضعها، أو كما قال علي الحصري القيرواني:

مِـمّا ينغّصُني في أَرضِ أَنـدَلُـسٍ
سَـماعُ مُعتَصِمٍ فيها وَمُعتَضِدِ
أَسـماءُ مَملَكَةٍ في غَـيرِ مَوضِعها
كَالهِرِّ يَحكي اِنتِفاخاً صَولَةَ الأَسَدِ

الفكرة الخامسة: هي الدعوة التي قدمتها لي الرواية بالبحث عن كل أمر تم ذكره عرضًا أو دون تفصيل ما أشعل بي ملكة حب البحث والتمحيص والتدقيق فيما لم أكن أعرفه سواء من أفكار أو من شخصيات أو من وقائع أو حتى كلمات قديمة يعيد استخدامها بالسياق، ومصطلحات (أنظر مثلا

ما تعلق بمن لم أعرفه جيدًا مسبقًا مثل: ابن سبط الجوزية، والبساسيري وفتنته في بغداد داعيًا للخلافة العبيدية الفاطمية، وأنظر السبتي الزاهد، والشيخ أبو مدين من المغرب، وفكر الشيخ الغزالي... والاميرة فاطمة بنت بري، وركن الدين ابن شحيط، والشيخ العز بن عبد السلام ...إلخ من قادة الفكر والرأي أو المتصوفة، وأنظر مفهوم الرِباط كموقع أو زاوية صوفية، ورباط الشيخ الرفاعي في قرية أم عبيدة...)

الفكرة السادسة حيث استوقفني من الحديث أو الحوار الروحي خاصة ذو المضمون الفلسفي، أو الخيالي أو ذاك القيمي أيضًا، وخاصة في سياق استعراض مفاهيم مثل: النور أو الرعاية والذِكر أو الحب أو الرحمة ومعاني الشطحات وقوة الأوهام مقابل الحقائق.

«فكل من لا تشمله رحمة الله فهو جائع وفقير ومطرود»، و«عمّر قبرك أيها الأمير»، و«الغلظة على أهل المعصية رحمة، وتقريع المخطيء تطهير له»، و«الذكر يعني استحضار الحبيب والتقرب اليه، كيف يمكن استحضار الحبيب والانشغال عنه!؟».

و«المحبة أساس المعرفة، واغتسال من الدنيا وما فيها، والمحبة عُري كامل... المحبة استسلام كامل للمحبوب». و«محبة الله حرية القلب والعين والبدن، ولا تكتمل المحبة إلا بالحرية، حب الله خيار الإنسان، ولهذا كان ثواب المحبة ثوابًا

عظيمًا...».

و«الرحمة غامضة لأنها واسعة، والرحمة لا قرار لها لأنها بلا حد ولا سقف...». وعن تذوق جمال الخلق والخالق يقول بضرورة التدرب على التذوق وصولًا إلى الصفاء، وهذا لا يتم إلا بالمداومة.

وحين النصر الإسلامي المصري على الفرنجة فإن «ليس هناك ما يشبه النصر».

شكرا للدكتور أحمد رفيق عوض على هذه الرواية-التحفة الفنية التي أثارت الشجون وبواطن الاحزان الحالية التي ظهر بوضوح أن لها تاريخًا أسودًا، وشكرًا له أن أسعدنا بإشارات بيضاء منيرة لا تخطئها العين نحو الأفضل.

نور الداعية (د. عماد حمتو) تحت القصف في دير البلح!

أعطتني الأخت الكريمة والمناضلة المقاومة الأصيلة أم أحمد بارك الله بها هاتف الشيخ الداعية د. عماد يعقوب حمتو المقيم الآن تحت نار القصف في قطاع غزة. فالشكر لها والشكر أيضا للأخ العزيز بدر أبو العبد الذي كان قد أرسل لي شريطًا للشيخ (مقطع من خطبة) الذي أثار اهتمام الناس في هذا الظرف العصيب –وأرسلته لاحقًا أم أحمد وأخوة كُثُر آخرين أيضًا– يتم الحديث به عن الدولة الفلسطينية ووجهات نظر من العام 1989م، وتقارب جزء (سيناريو) مما بالكتاب مع الخطبة الحماسية للشيخ حمتو والواقع الحالي من افتراق وطني، والتي عرضها بأسلوبه التحفيزي المثير والمشوق والمحذِّر.

بعد حصولي على رقم الهاتف اتصلت به بصعوبة شديدة وقمت بواجب الشكر اللازم للشيخ، والحديث عن الكتاب (كتاب: الدولة الفلسطينية وجهات نظر اسرائيلية وغربية، من إصدار مركز الدراسات الفلسطينية عام 1990م، الذي يعرض 6 احتمالات في 400 صفحة تقريبًا وكان أحد الاحتمالات/ السيناريوهات الستة مساحة إحدى خطبه عام 2022م في غزة باسلوبه التحفيزي الهام).

بعد قيامي الدعوة بالفرج لشخصه الكريم، وأهلنا الأبطال والمكلومين بذات الوقت في قطاع غزة والاشادة بتفكراته وسمو خطابه الإيماني، وصدقه، ونقده وسلاسة خطاباته وشموليتها ووحدويتها (مما اطلعت عليه في صفحته على مدار عامين من منشوراته على الشابكة) وبعقله المستنير (الشيخ الآن في دير البلح-غزة فرج الله عنه الكرب، وعن كل أهلنا).

تحدثنا -وبشكل أساسي- هو المتحدث وأنا المستمع عن الفكر والتفكّر وأصحابه وبدءًا عن الإمام أبو حامد الغزالي وتفكّره وطلبه الوصول للعلم اليقيني، إثر تساؤلاته وتشككاته، كما إشار للإمام الجويني إمام الأئمة في زمانه كما يقال عنه.

نظرت أنا لاحقا فيما اشار له عن الغزالي، وفيما قيل عنه التالي فوجدت أن عبارة: «مَنْ لم يشُكّ لم ينظُرْ، ومَنْ لم ينظُر لم يُبصِرْ، ومَنْ لم يبْصِرْ بقي في العمى والضلالة». هي من أروع العبارات، وأحكمها، وأكثرها صدقاً ونفعاً للإنسان في كل مكان وزمان، وقائلها هو الإمام ابو حامد الغزالي (المتوفي سنة 505 للهجرة) وهو صاحب الكتاب المشهور «إحياء علوم الدين»، وغيره الكثير من الكتب التي نالت الكثير من القبول والرضا من المسلمين.

قيل عن الإمام الجويني مما قرأته لاحقًا: «أنه كان ذا روح وثّابة إلى الحق والمعرفة، يميل إلى البحث والنقد والاستقصاء؛ فلا يقبل ما يأباه عقله، ويرفض ما بدا له فيه أدنى شبهة أو

ريبة، وظل الجويني ينهل من العلم والمعرفة في شغف ودأب شديدين حتى صار من أئمة عصره المعروفين وهو لم يتجاوز العشرين من عمره».

وعن الإمام الغزالي تحدّث الشيخ وافتراضه أهمية التجربة والحواس، ثم ماتلاها من اكتشافات مخالفة (قرأت لاحقا على حديثنا: أن الغزالي يقرر في كتابه «المنقذ من الضلال» أن «الحواس تخدعنا، وأن المعارف الحسية بناء على ذلك عارية عن اليقين، ولهذا فلا يمكن أن تعد علماً حقيقياً» ...إلخ من فلسفة ونظرات وتفكرات كثيرة قادته للنور كما رآه).

واستمعت لما قاله باقتضاب عن مفهوم العقل والحقيقة (رغم صعوبة الاتصال وانقطاعاته المتكررة). وعن النور يقذفه الله في قلب العبد، واطلعت لاحقا لحديثنا على الأثر القائل: «إن العلم نور يقذفه الله في القلب يفرق به العبد بين الخطأ والصواب». ما يعني ضرورة العقل والتفكر والنقد والإلهام مما فهمناه من علماء المسلمين، على تنوع اجتهاداتهم الفكرية بما هي واجب.

قال لي الشيخ عماد حمتو أيضًا بالاتصال الصعب به مساء الاربعاء 2024/6/19م أن العلماء هم باحثون عن الحقيقة. وتحدث عن العقم الفكري المتفشي، كما تحدث عن مئات الملاحظات على كثير من عمل المقاومة وواجب العلماء بالبيان والنصيحة في كل أمر.

أثناء العدوان الحالي على غزة وفي 2024/2/21م كتب الشيخ حمتو على حائطه في فيسبوك متفكرًا ومتسائلًا قائلًا: «الحيرة القاتلة تكتنف الجميع سواء مما كان أو المجهول الذي ننتظره أو التفكير فيما جرى هل هو عقوبة أم ابتلاء؟ هل تكفيرا للسيئات أم رفعة للدرجات؟ هل ما جرى تهورا غير محسوب العواقب أم كلفة الرباط؟ هل تم حساب المصالح والمفاسد أم غلبت المفسدة؟ هل نهاجر أم نبقى؟ هل فكرة الجهاد فكرة عدمية بحيث يفنى الناس جميعا ويهلك الحرث والنسل أم هي حياة للأمة ودفاع عن المظلومين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا؟ سيل من الأسئلة والاختيارات والاختبارات حتى أصيب المرء بالعجز في القرار حتى على صعيد نصب خيمته واللجوء إلى مكان آمن وتوفير الأساسات وحل المعضلات.. لقد عجزنا يارب وتاهت بوصلتنا».

وأضاف الشيخ في منشوره أيضًا: «لقد عجزنا يارب وتاهت بوصلتنا

يقولون إذا اختلف رجلان توجها إلى عالم

فاذا اختلف عالمان توجها إلى حكيم

فاذا اختلف حكيمان توجها إلى حليم

والحليم اليوم أصبح حيرانا...

من بين ثنايا هذه الهزائم النفسية تأتي آية من كتاب الله

هادية وشافية وكافية تأخذ بقلوبنا إلى طمأنينة الحق.

يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظآلمين ويفعل الله ما يشاء. اللهم فهمنا وفهم عنا فإنا لا نحسن التفهيم، ودبر لنا فإنا لا نحسن التدبير.

عودة لمكالمتنا الثمينة المتقطعة فلقد أشارالشيخ د.عماد حمتو إلى الناس وهجران النصيحة التي بها –أي النصيحة- يكون العالم (عالم الدين) لا محابي ولا كاره لأحد، وأن العلماء هم على مسافة واحدة بين فئات الأمة، وهم مستقلون غير متحزبون، ومهمتهم فقط النصيحة وليس اتخاذ جانب.

واشار لحديث (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) وعن لماذا لم يأتِ ذكر العالم (عالم الدين) فقال أن العالم راعي الرعية كلها.

شكرته بختام شذراته الجميلة القصيرة هذه، ودعوت له ولإخواننا في غزة فلسطين –تحت قصف الطيران الفاشي الصهيوني وعدوانه الإبادي غير المسبوق- بالفرج العاجل، على أن نلتقي بعد أن تزول الغمة بإذن الله تعالى، والله أكبر والنصر قريب لفلسطين وشعبها البطل. (2024م).

أمير والهنشل وإياد حين أتعلم منهم

أن تقوم بجولة ذات طابع تثقيفي فكري تدريبي وسياسي في ظل أوضاع متفجرة فإنك تتوقع مجموعة من الألغام والأسلاك الشائكة، والكمائن، كما تتوقع حالات من الاحباط واليأس والسوداوية قد تكون مبررة، وقد تكون مسرفة، هذا ونحن نعيش خريف عربي ألقى بظلاله على القضية الفلسطينية فجعلها تُركل بقسوة إلى الخلف.

أن تقوم بجولة قاصدا التعلّم من كادر الوطن والفتح العتيد في أوروبا فإنك تمسك برسالة الثورة والتحرر والوطنية التي قادتها حركة التحرير الوطني الفلسطيني- فتح في فلسطين وبلدان والجوار ومن أوروبا (ألمانيا والنمسا تحديدا)، وليس من باب المجاملة أو رفع المعنويات أو التعبئة القول أنني كنت أتعلم، ولم أكن أُعلّم أو اثقف أو أدرب فقط ما هو منهج الحركة في (التبادلية) حيث لا يقف الكادر في مواجهة الآخر بمنطق المرسِل والمتلقي فقط وإنما بحالة المشارك الأول والمشارك الثاني في آلية اتصال تحقق ما أكرره في كل الدورات، أي أنها تحقق ثلاثية الفائدة والتواصل والمتعة، نعم المتعة فمن يكره عمله أو أي نشاط يشارك به أو يتعامل معه بتثاقل أو كواجب عليه فقط أن يؤديه وكأنه يلقي عن كاهله ثقلا فهو

فاشل حتما، ولن يستفيد.

أن تقوم بجولة بين الكادر في أوروبا فإنك تظن للوهلة الأولى أن انعكاس الواقع السياسي المضطرب قد يخلق شخصيات ذات طبيعة تنافرية أو سلبية أو سوداء النظرة فقط، ما رأيت نماذج قليلة منها ونماذج عكسها.

إن الشخصيات (بغالبها) التي قابلتها في أثناء الندوات والدورات كانت تعبر عن واحد أو اكثر من مفاهيم وقيم الرغبة في التقدم، وقيم العطاء والحب، والتواصل، وبذل الجهد أكثر فأكثر فلم يكن الفتحوي إلا مناضلا شرسا صلبا قويا حتى في ثوب وشخصية ذاك الناقد القاسي في نقده، أو في شخصية التطهري المبتعد، أو في شخصية المتأمل الذي قدم من جهده أو من وقته بالحدود الدنيا، وإن تباينت الأولويات عند البعض.

أن تقوم بجولة في عقل ونفوس وروح ومسيرة أبناء الحركة في أوروبا (وخاصة ألمانيا والدنمارك وهولنده في هذه الجولة) فإن الألغام تتحطم والأسلاك الشائكة سرعان ما تنفك كما يتم إبطال مفعول الصواعق على قاعدة التمسك بفلسطين وبرداء الوطنية الدافيء، وبستار الفكر الوحدوي الذي كان ولا يزال إكسير هذه الحركة العملاقة.

إن مقدار التعلم من الآخرين هو بمقدار الرغبة في الاستزادة من المعرفة والرغبة في التغيير، والرغبة تعني الإقبال على الآخرين دون حرج، وتعني استمطار الأفكار وعدم التخلي

عن نشيد العطاء، ومقدار ما تعلمته أنا في جولتي هذه كان كبيرا ومترفا جلب لي السعادة، وجعلني أكثر ثقة بأن الأجيال القادمة سواء داخل فلسطين أو خارجها هي أجيال المضاء والثورة والعطاء والديمومة حتى تحقيق النصر.

عندما يصبح الطفل رجلا خلال ساعات فإنك ترى هذا يتجلى في أطفال (الأربي جي) في لبنان، وأطفال الحجارة في فلسطين، ومثلهم ومنهم لحظت (أمير) الذي استطاع أن يبرز خلال جولتي في أوروبا ويتقدم الصفوف ليس بقامته الصغيرة المشوقة وهمته العالية فقط، وليس بابتسامته الخَفِرة ورغبته بالتعلم فقط وإنما بنباهته وتفتح عقله وقدرته على أن يعلمني.

كان ينظر من خلف ستار أحاط بالقاعة التي عقدنا بها دورة عمل الفريق في التنظيم وتحقيق الانجازات في ألمانيا، وتلمع في عينيه اشارات هوى ورغبة وطموح فأدخلته ضمن كادر الدورة فسنّه الصغير (13عاما) لا يحول دون مشاركته وهذا ما كان، حتى أنه أذهل الحضور وأعجبني بحركيته وانطلاقه وحرصه ونباهته.

عندما يميّز المناضل ويفصل بين أوان النقد وخطاب التعبئة فإنك تقف له احتراما وتعظّم ما فعل إلى الدرجة التي تجعلك تقر بأن خطابه أفضل بكثير مما كنت أتجهز له شخصيا، وهذا ما كان مني عندما تقدم المناضل الكبير وأول جريح في الثورة المقيم حاليا في هولندا سمير الهنشل بعرض رأيه القاسي جدا

والناقد بشكل شديد لاتفاقية (أوسلو) وتبعاتها وما جرته علينا من خيبات كما أورد، حيث قام بعرض رأيه في أكثر من نصف ساعة وأنا استمع له دون مقاطعة متوقعا أن يعيد خطابه الناقد هذا بقسوة في الندوة التي سأعقدها بعد دقائق من حديثه معي في سفارة فلسطين في هولندا تحت عنوان الهبة الجماهيرية والتطرف والوحدة، ولكنه فاجأني!

أنهيت حديثي وعلق الأخ المناضل والناشط والفنان زيد تيم مدير الندوة ثم أتاح للحضور ان يقدموا استفساراتهم أو مداخلاتهم وكنت أتوقع حديثا ناقدا من الهنشل إلا أن مفاجأته كانت لي متمثلة بمقدار وعيه النضالي وحرصه وقدرته على التمييز بين مقام النقد ومقام التعبئة والتحريض الايجابي أمام الكادر، فتحدث بإيجاز غير مخل حاثا الحضور على العمل والعطاء والالتفاف حول القيادة، ولم يشر من قريب أو بعيد لخطابه الناقد ذاك في لقائنا المحدود العدد، ما جعلني أسرّ كثيرا وأقول له أنه أصاب وأجاد وأحسن فعلا.

في الدنمارك وفي إطار التفاعل بين حضور الندوة التي ظهر فيها الجميع يتفاعل ويتشارك مركزا على تحقيق التعريف الذي اعتمده دوما لمعنى الحوار وهو (أن نفكر معا) ظهر الفنان والمؤرخ والمدرس والناشط في مجال أو أكثر، وظهر إياد شقيري بعقله العلمي الهندسي المقتصد المرتبط مع إطار التساؤلات والاستفسارات الواعية وفي سياق القدرة على

النقد الدافع للأمام، وظهرت شخصيات مختلفة أعتقد أنها إن تفاهمت معا تصب في خدمة تنوع الأدوار الهام في إطار عمل الفريق.

هناك الكثير من الأخوة ممن تعلمت منهم في مختلف المدن التي ألقيت بها المحاضرات والندوات أو عقدنا فيها الدورات، ولما لا أستطيع في هذا المقال أن أذكرهم جميعا وكلهم ممن طاب لي اللقاء معهم فإن ذكر النماذج هنا لا يعني أنها تمثل جميع من علموني على نمط قصة الصوفي المسلم في القصة التي يكرر سردها الكاتب الروائي البرازيلي (باولو كويليو) في مقدمة قصصه بالطبعة العربية، حيث حار الصوفي في من يتحدث عنه من معلميه وهم كُثُر كما قال ثم تعرض لنماذج ثلاثة،.

وعليه أثق بوعي وتفهم ورحابة جميع من علموني وما إشارتي لبعضهم إلا بمثابة تقدير للجميع الذين تحلوا بميزات ثلاثة عظيمة هي: الإقبال أولا ما يمثل الرغبة بالعمل والرغبة بالتعلم والسعي لخوص التجارب، وتحدى الذات والظروف فمنهم من استقر بالبلد من زمن ومنهم من قدم مع موجه التهجير الجديدة في العالم العربي وخاصة من سوريا، وفيهم من أقبل على المستقبل بقيم الشجاعة والإصرار رغم حراجة الظروف وصعوبة الواقع، وكانت الميزة الثانية مما رأيته فيهم هي الالتزام، فكان الالتزام بالوقت والحديث والسلوك التشاركي لا الاستئثاري الاستبدادي عوضا عن الالتزام الوطني

العارم والالتزام بالعمل ولغة الجماعة المرتبطة بالسعي لرفع اسم فلسطين وحركة فتح عاليا في العالم.

أما الميزة الثالثة فكانت الايجابية إذ لم ألحظ رغم حدة النقاشات ومستوى النقد العالي خاصة في الندوات لم ألحظ شخصيات سلبية أو سوداوية أو نكوصية -إلا ما ندر- ممن لا يشكلون إزعاجا أو إرباكا للصورة العامة ايجابية النزعة، أي تلك التي تُقدّم العمل أمامها فيتحدث عنها كما هو نموذج وليد ظاهر وزيد تيم ود. عوض حجازي، ونادية زملط الأخت الوحيدة في الدورة بألمانيا التي تجشمت عناء التنقل وشاركت بوعي واقتدار... وغالب من شاركوا في الفعاليات التي عقدناها.

في رؤية المشهد كما يقول العالم (هاورد جاردنز) ثلاثة محاور للمعالجة الفكرية لهذه الرؤية حيث يتدخل العقل المدرب أولا فيتميّز بعمق الرؤية ومهارة المعالجة الفكرية في الموضوعات التي تراكمت لديه الخبرات فيها، ثم محور العقل التجميعي الذي يستطيع بمهارة كشف العلاقات بين عناصر قائمة ضمن مشهد موضوع مطروح ما يعطيه عمقا في الفهم والاستيعاب، وثالثا يظهر محور العقل المبدع الذي يستطيع تقديم أفكار جديدة أو متجددة،.

وكان مشهدنا في الجولة الأوربية هذه مشتملا على رؤية بعقل مدرب وتجميعي وابداعي تجلت في عدد من المواقف والحالات التي التقيتها في مختلف البلدان مما جعل من

مستوى الأمل يقفز لدي لحدود الطهارة والعنفوان والمهارة التي ميزت المناضل الفلسطيني والعربي سواء في الوطن أو خارجه. (فلسطين-رام الله في 2016/4/4)

راتب حريبات حين لا يرى الأبيض؟ وإخوته المعتقلين.

عندما قررت حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح أن تصدر كتابًا لهذا العام يعبر عن الأسرى وخاصة الأسرى المرضى بنمط جديد، كنت الممثل لها في ذلك بصفتي رئيسا لأكاديمية فتح الفكرية، حيث هالني حجم الألم المعجون بالأمل في ثنايا الكتاب الذي أوكل لي مهمة إخراجه إلى النور، والذي سطّره الكاتب والأديب الأسير راتب حريبات.

ولما كان من الضروري أن يطّلع على النسخة الأولية أخوة لنا وأخوات بالداخل والخارج، فلقد فاجأتني حجم الاستجابات الايجابية، والتي دللت على استقرار قضية الأسرى والمعتقلين في نفوس وقلوب الفلسطينيين بل والأحرار في العالم.

تحدث معي أحد الأخوة من المعتقلات -بطرق حديثهم الصعبة والملتوية ضمن مراوغات طويلة للاتصال بخارج المعتقل- وكأنه يرفع من معنوياتي، فيما ظننت العكس هو المطلوب! موجهًا كلامه عبري للانعزاليين العرب المهرولين فقال: الانعزاليون العرب هم الأسرى ونحن الأحرار بمعتقلاتنا لأننا لم نرضح لاعتقال الفكر والرواية والثقافة وديننا والمباديء، وهُم لأقل من ذلك نخّوا، وهي العبارة الجليلة التي افتتحت بها

كلمتني في حفل إطلاق الكتاب.

ليس من السهل أن يكلمك أسير في المعتقل الصهيوني وبصعوبة التفلت من رقابة وتفتيش وظلم الاحتلال، وتراه هو من يرفع معنوياتك أنهم المناضلون الفلسطينيون الأحرار.

في حفل إطلاق كتاب الأسير (فك الله أسره وكافة المعتقلين في سجون الاحتلال) راتب حريبات المعنون: لماذا لا أرى الأبيض محطات الآلام في عيادات الظلام، يوم الخميس 2020/9/24م كان لي كلمة تشرفت بإلقائها ممثلا لحركة فتح وفي مقر هيئة شؤون الأسرى في فلسطين، وكيف لمثلي أن يتكلم بسهولة في حضرة الظلمة والغبن والظلم الذي يغلف أيام المعتقلين في معتقلهم والليالي؟

كان لي سابقة الحديث في حفل إطلاق كتاب شقيقي الأسير القائد ياسر أبو بكر المعنون: أسفار العتمة-نصوص تتحدى الاحتلال عام 2012 عن وزارة الثقافة الفلسطينية، وفيه أشرت لأهمية الثقافة وبناء العقل والذات في كل المواقع، وضمن أولوياتها في المعتقلات... وما كان هذا سهلًا.

من كتاب راتب حريبات تجرّعت شحنات من الأمل والشجاعة والإقدام لأتحدث قليلا، عن الأبطال الذين نعتز بنضالاتهم التي نعرف عنها من وسائل الاعلام القليل وتظهر جليّة من الكتاب الصغير والقيّم لراتب حريبات.

لم يكن الموقف سهلاً في حضرة أهالي الأسرى الكرام

الحاضرين، رغم خوضي لتجربة الحديث والخطاب العام والتدريب في آلاف الندوات والمحاضرات وواللقاءات والدورات عبر 40 عاما، بالوطن وخارجه، خلفت لي أكثر من 20 كتابًا كان آخرها فن الحديث: في الخطاب المؤثر والأسلوب الجذاب، وكيف لي أن أُحدِث التأثير والجذب، ومن يحققون العلائقية بين الجذب والتأثير هم إما استشهدوا أو وراء القضبان!

أظنني رأيت في الكتاب الجذب والتأثير في عدة قضايا أبرزها 3 قضايا هامة الأولى: حجم الألم ولكنه على عمقه ممزوج بالثبات، في توازن يجعل الثبات هو اداة التغلب على حجم الألم الكبير.

ورأيت ثانيا: في الأسير المقدام راتب حريبات وانتاجه بين يدينا، الثقافة النضالية والعربية التي بدت جليّة من خلال حروفه العربية الحضارية، وليس الفلسطينية العنصرية البغيضة.

كما كان لي ثالثًا ملاحظة حجم التوتر في مجتمع الأسرى ما بين لحظات اليأس مقابل الغرف من منهل الأمل، فيما يمكنني تسميته قدرتهم على صناعة الأمل وبالاقدام والعمل الذي منه الجهد الثقافي والتعبوي البنائي.

في ثنايا الكتاب المؤثر قصص وحوادث قصيرة لعدد من الأخوة الذين دخلوا المعتقل المسمى تجاوزا «مستشفى الرملة الصهيوني». وهو المستشفى-المعتقل الذي لم يكن للون الرداء

الأبيض المريح نفسيا للأطباء أن يُرَى فيه! لأن كل الاطباء والممرضات هم من جنود الاحتلال، وبزيهم الاحتلالي العَكِر الذي يكاد يقول الكثير في القمع والسطوة والإذلال، فلم كففتم بصرنا عن رؤية الأبيض؟

تظهر في القصص القصيرة من سجلاّت راتب حريبات خلال سنينه الأربع في مستشفى الرملة نماذج مقاومة مؤثرة للقمع والإذلال، ونماذج تحمّل وألم لا يطاق، ونماذج حزن وبكاء ويأس إنساني، ونماذج أو قيم تعاضد ومحبة وفرح مأسور أيضا.

تظهر فكرة القدوة جليّة في قصة راتب حريبات مع عمر الريماوي، وتظهر التلقائية في قصة الأسير الشبل أسامة زيادات وحبه للبيض المقلي، وتظهر البطولة والصمود في قصة جعفر عوض ومنصور موقدة، وهكذا تجد الكثير من المعاني الصارخة.

في كتاب راتب حريبات تميّزٌ بنقاط رئيسة ثلاثة باعتقادي، فهو بناء فصيح سلِس من جهة، وهو صادق التعبير عن الصراع في لحظات القوة ولحظات الضعف، وهو ثالثا ذو بناء يختصر المسافات ما بين الحقائق والعواطف.

لم يكن لي بالختام إلا أن أشكر جميع المساهمين في جعل الكتاب يظهر للنور على الورق من الأخت ضحى حريبات وبنازير إيخمان، وأولئك الذين شرّفوا حركة فتح بإعطاء

انطباعاتهم أو بدعمهم المالي لإصدار هذا الكتاب على وعد منهم أصيل بدعم متصل، ولولا تشديدهم على عدم ذكر أسمائهم لكان لنا أن نذكرهم واحدًا واحدا وهم بالحقيقة من كوادر حركة فتح خارج الوطن، وإنه لجهاد نصرٌ أو استشهاد.

سيرة ذاتية للمؤلف

* مواليد فلسطين عام 1960، تخرج في العام 1985 بكالوريوس هندسة مدنية. والوالد المناضل محمود علي أبو بكر من لاجئي مدينة حيفا عام 1948م، ومن قادة المقاومة والثورة الفلسطينية الرواد.

* حاصل على شهادة الدراسات العليا في العلوم السياسية عام 2003.

* رئيس الاتحاد العام لطلبة فلسطين- فرع الكويت، ثم عضو القيادة المركزية لاتحاد الطلاب، وتقلد مسؤولية المنظمات الشعبية ضمن عضويته لقيادة فتح بالكويت (حتى العام 1990م).

* عضو قيادة مكتب التعبئة والتنظيم في تونس حتى العام 1996م، (بقيادة عضو المركزية أبو ماهر غنيم)، مسؤول التدريب السياسي والتنظيمي بالمكتب (المفوضية).

* شغل اللواء بكر محمود علي أبو بكر مهمة نائب المفوض السياسي العام (الأخ عثمان أبو غربية) في التوجيه السياسي والوطني في فلسطين (1996-2008م)، ورئيس مجلس إدارة مدرسة الشهيد ماجد أبو شرار لاعداد الكوادر، رئيس مفوضية التدريب بالتوجيه، ثم تقاعد مبكرًا.

* عضو ومؤسس لمكتب التعبئة والتنظيم في فلسطين،

بمسؤولية الأخ هاني الحسن، ثم من تلاه من الأخوة بالمركزية (الأخ أبو علاء قريع والأخ محمود العالول)، ومسؤول التدريب وإعداد الكوادر.

* رئس تحرير صحيفة «الاتحاد» التابعة لاتحاد الطلاب، ثم عضو في التحرير لمجلة «الصخرة» لحركة فتح-الكويت، فمجلة «الحصاد»، ثم مجلة «وطني» في فلسطين التابعة للتوجيه السياسي والوطني، وأخيرا لمجلة «القدس» التابعة لفتح في لبنان إلى أن اختفت المجلات. وانتشر النشر الالكتروني حيث حرّر وكتب في عشرات الصحف والمواقع والنشرات الالكترونية، وله موقعه الخاص.

* عضو الأمانة العامة لاتحاد الكتاب والأدباء الفلسطينيين السابقة، وعضو الاتحاد حاليًا.

* رئيس هيئة مكتب أمانة سر اللجنة المركزية لفتح (2009-2016م).

* عضو المجلس الثوري لحركة فتح (2009-2016م)، ثم عضو المجلس الاستشاري للحركة.

* رئيس أكاديمية فتح الفكرية، أكاديمية الشهيد عثمان أبو غربية (منذ 2019م).

* عضو المجلس الوطني الفلسطيني (سابقًا).

* مفكر وكاتب وباحث، وأديب عربي فلسطيني، وعضو في

مجالس إدارة عدة مراكز دراسات.

❋ مدرب متمرس ومعتمد، ويشغل مهمة التعبئة والتدريب السياسي، والتنمية البشرية بالحركة.

❋ يرأس تحرير نشرة «الملف الحركي» الدورية الالكترونية حيث تم إصدار مئات الملفات من دراسات وأوراق وأبحاث بشؤون مختلفة (من العام 2006–2024م). ورئيس مركز الانطلاقة للدراسات.

❋ قام بتنظيم وإعداد الدورات وألقى المحاضرات في عشرات الدورات للكوادر بالوطن في الفكر والسياسة والتنظيم والتنمية البشرية. وفي الخارج بالكويت، تونس، ثم في باكستان، الهند، ثم في السويد، ألمانيا، الدنمارك، هولندا، وإسبانيا (2019م)، ولبنان (2022م).

❋ له العديد من الدراسات والأبحاث والمحاضرات والندوات، ومشاركات بالمؤتمرات، وللكاتب مئات الكتابات والمقالات والدراسات المنشورة. ورقيًا وعلى الشابكة.

❋ تم تكريمه من قبل التوجيه السياسي والوطني في فلسطين عام 2008م.

❋ حاصل على جائزة ملتقى المثقفين المقدسي، مهرجان زهرة المدائن للابداع الثقافي عام 2018 عن كتبه.

❋ متزوج، ولدية 4 بنات ذكيات ومقيم في فلسطين– رام الله.

كُتُب للمؤلف

1. مفاهيم لا بد منها – عناة للطباعة والنشر – رام الله 1997م.
2. تحقيق الفوز في قيادة الحملة الانتخابية – gups– 1999.
3. مبادئ المسؤولية التنظيمية – عناة للطباعة والنشر– 1998
4. كيف تقيم معسكراً؟ التوجيه السياسي- فلسطين، 1997.
5. التفكير في حركة (حماس)- مدرسة الكوادر–1998
6. حركة (فتح) بؤرة الإبداع والتميز – مدرسة الكوادر– 1998.
7. حركة (فتح) والتنظيم الذي نريد، دار عناة، 2003.
8. وجوه القيادة، المركز الفلسطيني للدراسات، رام الله، 2005.
9. حركة حماس سيوف ومنابر، دار عناة، رام الله، 2008
10. أوعية الفكر الإسلاموي محاولة للفهم، دار الجندي، القدس 2016.
11. مدينة القدس، التاريخ الحقيقي وتهويد الاحتلال، دار الجندي، القدس، 2017.

12. حركة فتح والإسلام والعلمانية، دار الأمين، رام الله، 2016.

13. أساطير اليهود وأرض فلسطين في القرآن الكريم، دار الأمين، رام الله، 2017.

14. طريق مغلق، الديمقراطية والتعبئة في التنظيمات الإسلاموية، دار الامين، فلسطين، 2017.

15. الانطلاقة الاغتسال في المطر والانتصار، دار الأمين، فلسطين 2018.

16. الوتر المشدود: أبناء فتح بين الفكر والتنظيم والسياسة، فلسطين، دار الأمين، 2019.

17. القدس لا ترحل: المعالم الإسلامية والمسيحية في القدس تتحدى التزييف الصهيوني، فلسطين، دار الأمين، 2020.

وله أيضًا:

1. لم لا ! (مجموعة قصصية) -دار الزاهرة-2000.

2. في الزمن الواقع بإمكانكم أن تطيروا (مجموعة قصصية)، دار الشروق، 2003.

3. برق مقيم (نصوص نثرية) -اتحاد الكتاب الفلسطينيين- القدس، 2004.

4. ثلاثة شروط بسيطة (مجموعة قصصية)، اتحاد كتاب تونس 2007.

5. ليس للفقير أن يحلم (مجموعة قصصية) - لبنان - 2009.

6. صدر السماء الحافية (نصوص) -رام الله- دار الأمين للنشر-2011.

7. بيدي أن أصير دبابة (نصوص) -رام الله- دار الأمين للنشر، 2013.

8. فن الحديث، في الخطاب المؤثر والأسلوب الجذاب، فلسطين 2020.

9. ياسر عرفات: تاريخ من صنع يديه، كتاب الكتروني (ك. أ)، 2021م.

10. الثبات: النواة الصلبة والوطنية والقطار العربي، دار الامين، 2021.

11. معضلة الفصائل الوطنية وأفول نجم التنظيم!، دار الناطور للأبحاث والدراسات، عمان، كتيب الكتروني (ك. أ)، 2022م.

12. بناء الشخصية بين روح الحكمة والعاصفة، دار الامين، فلسطين، 2022م.

13. أبو نرجس يدخل الانتخابات، مجموعات قصصية، مكتبة كل شيء، حيفا، 2023م.

14. شخصيات ساهمت في تأسيس الكيان الصهيوني، إعداد، مركز الانطلاقة للدراسات، فلسطين 2023م. (ك.

أ)،

15. رئة فلسطين والأكسجين -مقالات العدوان الفاشي على فلسطين وصمود شعبنا الفلسطيني في غزة، والضفة- مركز الانطلاقة للدراسات 2024-م. (ك. أ).

16. في ظل العدوان على غزة، النقد المحرّم وجريمة التفكير!- دار الامين للنشر-فلسطين2024-م.

17. في العقل الحر والتفكير ومنهج العمل التنظيمي -مركز الانطلاقة للدراسات، 2024-م (ك. إ).

18. القائد الممتاز، مركز الانطلاقة للدراسات، 2023م.

19. عندما جلست أكتب، دار الامين، ط2، 2025م.

20. وموقع المؤلف على الشابكة

/https://bakerabubaker. net

الفهرس

مناضلون عشت بهم!

دروس ومواقف وشهادات

ما حفزني على إعداد ثم طباعة هذا الكتاب هو أحد الأخوة الكرام الذي قرأ أكثر من مقال لي اعتبره مؤثرًا عن القادة الفلسطينيين المناضلين، وأشار لضرورة أن يتم تعميم ذلك عبر كتاب، في زمن عزّ فيه الكتاب لاسيما في ظل طغيان وسائط التواصل الاجتماعي والذكاء الاصطناعي. وما كنت بصدد ذلك لولا إلحاحه الذي جعلني أفكر الى أن قررت أن أجمع مادتي وأقرن الراحلين بالأحياء ممن كتبت عنهم في فترات مختلفة لعلني بذلك أكون قد أسهمت بشيء من التكريم أو الاعتزاز بمن قضوا، ومن هم على الدرب سائرون.

الشخصيات المذكورة منها مَن صاحبته كصديق، ومنها القائد الذي تعلمت منه، ومنها التي ربطتني بها مشاهد محددة أو مواقف قليلة لربما أشرت لها، ومنها ما قد يمثل شهادة بحق لمن يستحقها. ولكثير منهم عندنا تقصير كبير. وعليه لربما بهذا العمل نكون قد انجزنا القليل بحقهم.

بكر أبو بكر

دار البيرق العربي للنشر والتوزيع